كتاب الشهر 5 2005

اليمين قادم

تأليف: سحر زيناتي

المركز العالمي
لدراسات وأبحاث
الكتاب الأخضر

الطبعة الأولى 2005

الإيداع القانوني :
الترقيم الدولي رد . مك ISBN 9959-26-038-0
الوكالة الليبية للترقيم الدولى الموحد
دار الكتب الوطنية
بنغازي - ليبيا

www.greenbookstudies.net
هاتف 9090509 - 9096379 - 9097074
بريد مصور 9097073
البريد الالكتروني nat_lib_libya@hotmail.com

تنفيذ فني :
القبس للأعمال الفنية

اليمين قادم 5

■ تأليف : سحر زيناتي

كلمة أولى ..

هناك في الوجود و على مسرح الحياة ظواهر كبرى تؤثر في صناعة الأحداث و بلورة مسارات التاريخ ، لذلك فإن من الواجب دائماً الاهتمام بقراءة و تحليل الظواهر انطلاقاً من أهميتها وتأثيرها .

و لا شك أن انحسار دور اليسار مع سقوط الإتحاد السوفيتي، و تنامي اليمين ، سواء الديني ، أو القومي ، مسألة تحتاج إلى دراسة.

و لئن كان بعض الغربيين يريدون إيهام العالم أن الانبعاث الديني إنما حصل فقط في الإطار الديني الإسلامي ، و ذلك ليتسنى لهم تأليب العالم كله و جره لمحاربة الإسلام ، فإن الواجب بيان أن مثل هذا الانبعاث موجود في كل مكان ، و حتى في قلب الولايات المتحدة الأمريكية ، بل و في إسرائيل أيضاً .

هذا عصر العودة ، و العودة إلى الماضي دليل على إفلاس نظريات الحاضر ، الناس يتراجعون لأنهم اصطدموا بالجدار ، وتعبوا من الفراغ الذي يعيشونه في ظل المادية الطاغية .

الثورة اليمينية في أمريكا ، وفي أوروبا وعند اليهود وفي روسيا نفسها .

و لأن اليهود قد استطاعوا استيعاب الانبعاث المسيحي في الغرب و حولوا الصحوة الأصولية المسيحية إلى خدمة أغراضهم

تحت راية الصهيونية ، فقد ظهر اليمين القومي بصبغة قومية لئلا يحتويه اليهود باسم الكتاب المقدس (الجامع بين العهدين ، والمصادر من طرف اليهود) .

واليمين ظاهرة محارَبة في الغرب لأنها تهدد مصالح اليهود بالدرجة الأولى ، سيراً على خطى هتلر.

كما أن اليمين القومي يبقى هاجساً لمستقبل النفوذ اليهودي في الغرب ، إذ لن يكون هناك لوبي متنفذ في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً لو أن اليمين حكمها ذات يوم .

و لئن كانت الأصولية المسيحية تمثل السلفية الدينية للغرب ، و التي لا تعني هنا السلفية المسيحية ، بل السلفية الصليبية التي هي في خدمة التلمود ، فإن اليمين أو النازية الجديدة تمثل السلفية القومية ، و الذي يبدو هو أن الصراع بين السلفيتين سيكون شديدا في المستقبل ، و هو ما يعرّض الغرب لهزات قوية مستقبلا ، كما أن لذلك أثره و ظلاله على خريطة العالم بأسره لأننا نتساءل مثلا:

هل ستبقى إسرائيل مستقبلاً إذا ما كانت دون دعم من واشنطن ومن الغرب في ظل حكم اليمين القومي لهذا الغرب؟

و لأن الموضوع خطير ، و لأن تساؤلاته شائكة ، و لأن متابعة الظواهر ، و إبقاء الغرب بكل تحولاته تحت المجهر ، مسألة غاية في الأهمية على هذه الظاهرة ، عبر دراسة متأنية فكان هذا الذي بين يدي القارئ ، طليعة لكشف ما يبلور مستقبل العالم بقضاياه الهامة .

مقدمة

يدعي التاريخ أن الإمبراطوريات تقوم على ركيزة أساسية هي القوة العسكرية، وركائز أخرى مساعدة تمثل نوعاً آخر من القوى أيضاً، كَنُبْل رسالتها، ونفاذية العالم التي تسعى للسيطرة عليه، أو ضعف الخصم الذي يستوجب قيامها تنحيته، وأخيراً وليس آخر إيمان أتباعها برسالتها وضرورة قيامها.. فعلى أي من هذه الركائز (المساعِدة) اعتمدت وتعتمد أمريكا في إقامة إمبراطوريتها بعد أن توفرت لها الركيزة الأساسية حسب ادعاء التاريخ؟

لاشك أن ما تمتعت وتتمتع به (الإمبراطورية) الأمريكية من القوة، التي لم توفر جهداً ولا مالاً ولا أي نوع من القدرات للحصول عليها، قد مكّنها من امتلاك العالم عبر قدرة هائلة على التحكم بأزرار تحولاته كلها، والسيطرة على مجريات الأمور فيه مهما امتدت المسافة التي تفصلها عنه، كما مكنها سقوط وضمور القوى العظمى الأخرى من أن تشرئب بعنقها أكثر وأكثر..

والحقيقة أن ركيزتها الأساسية ما زالت قائمة وبقوة، إلا أن ضعف الركائز الأخرى المساعدة على ثباتها وبقائها هي التي بدأت تتزعزع من تحتها إثر الهزات المختلفة التي تعرضت وتتعرض لها، فهي من جهة لا تحمل رسالة نبيلة تنشد الخير والحق) والمساواة للجميع، فتثبت أقدامها حيث تحل. كما ثبت،

من جهـة أخرى، ومن خلال مـقـاومـة الـشـعـوب التي تـغـزوها. أن نفاذية العـالـم ليست بنسبة واحدة، ولا تنسجم دائماً مع توقعـاتها وحساباتها، إضـافة إلى أن الجهات،أو القوى الأخرى التي تـنحيها جانبـاً لتتمكـن من المرور ليست بالضعف المطلوب أو المتوقع، وإن لم تكن بالقـوة المطلوبة، إذ أن لهـذه الجهـات أيضـاً مصـالحهـا التي لن تتنازل عنهـا لـو أجبـرت على ذلـك، وستـبـقى على صـمـتـهـا أو على الأقل حيادها في مواقفها إلى أن تضطر إلى عكس ذلك.

أمـا الركـيـزة الأهم والتي يجب المراهنة عليـهـا هي تـلك التي تتـمـثل في إيمان أتبـاع أي إمـبـراطوريـة بقدسيـة مـا يقـومـون به لتتمكـن إمبراطوريتـهم من الوقوف على أقدامها،.. فالإمبراطورية المغـوليـة عـلى سـبـيـل المثـال والتـي قـامت على قـرنين مـن الزمن (1206-1405)م والتـي شـمـل نفـوذها الصين ، والأناضـول ، وآسيـا الصـغـرى ، وأوروبا الوسطى، ودحرت ممالك قـوية وهزمت إمـبـراطوريـات ، وإمـارات، وقـضت على خـلافـات وسـلالات، هذه الإمـبـراطـورية سقـطت، بل واندثرت لأنهـا لم تحـمـل في طيـاتهـا مقومات حضارية تساعدها على البقاء والاستمرار.. ولأنها قامت فقط على التفوق العسكري، فهَزمتْ غيرها عسكرياً وهُزمت أمام حضـارتهم التي مـا لبثت أن قـامت وقـويت واسـتـوعـبت الجـحـافل الغازية لتـحول عسكرها عن معـتقداتهم إلى مـعـتقداتهـا هي لأنها كانت الأقوى والأعـمق جذوراً.

واليـوم، يعـيـد التـاريخ نفـسـه، لنسـتـذكـر أمـام هذا الجـبـروت الأمـريكي الإمبـراطورية الرومـانيـة ومـا كـانت عليـه، ولسنا وحدنا

في جولة الذكريات هذه، فقد سبقنا إليها الأمريكي المحافظ تشارلز كراوثامير الذي علّق في أحد مقالاته لجريدة نيويورك تايمز قائلاً:

" الحقيقة أنه لم تتوفر في تاريخ العالم لأية دولة السيطرة الثقافية ، والاقتصادية ، والتكنولوجية ، والعسكرية التي تتمتع بها الولايات المتحدة الآن، وذلك منذ زمن الإمبراطورية الرومانية"

وكان لبول كينيدي الرأي ذاته أيضاً وغيرهم، وإذا كانت الإمبراطورية الرومانية قد امتدت على مساحة جغرافية واسعة، فإن السيطرة الأمريكية على العالم عبر التحالفات والقواعد العسكرية قد أغنت أمريكا عن التواجد بالصورة التي كانت عليها مثيلتها الرومانية. أما السيطرة الثقافية التي عناها تشارلز كراوثامبر فإن أهم إرهاصاتها انتشار اللغة الإنكليزية وتأثير ذلك في عالم المال والأعمال والفكر، أما أشد ما يذكرنا بالإمبراطورية الرومانية (وبالقياصرة) في ما هي عليه أمريكا هو صفة التأليه التي تستأثر بها لنفسها.

وإذا كان لكل قرن امبراطوريته، فإن أمريكا إمبراطورية القرن العشرين بلا منازع.. ومع ذلك فإننا أيضاً ، ومعنا آخرون،نتذكر قولاً للرئيس الأمريكي توماس جيفرسونThomas Jefferson مفاده:

"ستكون نهايتنا كنهاية الإمبراطورية الرومانية" وحين سئل: لماذا ؟ أجاب: لأننا موجودون دائماً في فوهة البنادق"

فهل يجدي الآن أن نقلب بعض صفحات التاريخ الحديث،

ونذكر بسقوط "الإمبراطورية التي لاتغيب عنها الشمس"! وبانهيار الإمبراطورية الفارسية ، وغيرها.

وحتى لا يقال أننا نتحدث بلسان الضحية التي تتمنى الموت لقاتلها. نستحضر الرأي الموضوعي والعلمي المدروس للبروفسور تشارلز كوبشان صاحب كتاب "نهاية الحقبة الأمريكية" الذي ينتقد نظرية فرانسيس فوكوياما حول نهاية التاريخ، ويؤكد كوبشان أن المد الإسلامي ليس وحده ما يهدد الوجود الأمريكي بالصورة التي هو عليها بل سياستها التي آلت إلى تفكيك دول التحالف بسبب تداعيات هذه السياسة على هذه الدول، وعلى كافة الصعد، وآخرها التهديد لأمنها ولمصالحها على يد ضحايا السياسة الأمريكية. هذه الأسباب وغيرها (يقول كوبشان) ستكون من أهم أسباب سقوط الإمبراطورية التي تركز على محاربة أعدائها والمعارضين لسياستها، دون أن تلقي بالاً للمعارضة التي تزداد يوماً بعد يوم داخل الدول الحليفة لها، تماماً كما تتجاهل معارضي سياستها داخل أراضيها.

إذ أنها وإضافة إلى التفوق العسكري الهائل، فإن أمريكا تملك كل أنواع المغناطيس الذي يجتذب الشباب والطاقات والخبرات.. مع ذلك، فالمؤشرات تنبئ بعدم إمكانية استمرار هذه الإمبراطورية طالما بقيت قائمة على العنف والقوة فقط، فرغم كل التضليل الذي تمارسه الإدارة الأمريكية على شعبها حول شرعية وضرورة ما تقوم به وأحقية الآخر بما يقع عليه، فإن إشارات التذمر، وإنذارات الرفض، ونداءات الشجب التي كانت ترتفع في

الشارع الأمريكي سابقاً، بدأت ومنذ فترة ليست بقصيرة تأخذ منحى جديداً ، ونهجاً غير مألوف في التعبير عن نفسها فالشعب الأمريكي الذي لم يعد يشعر بالأمان أمام ردات فعل (الآخر) الذي يقع عليه الظلم، ولم يعد يشعر بالرفاهية أمام وطأة الضرائب والبطالة بسبب عجز ميزانية (إمبراطوريتهم) ولم يعد يشعر بالتفوق على غيره أمام لا إنسانية ولا شرعية غزو حكوماته للعالم.. وبالتالي صار يطرح على نفسه السؤال الهام: لماذا كل هذا الثمن؟ ومن أجل من؟!!

وكان بإمكانهم التقاط الرد على سؤالهم ببساطة لو أنهم أعاروا الدراسات حول ما يدعى "بسيكولجيا الزمن" بعض اهتمامهم، وخاصة ما يتعلق بسلوك الأفراد وطريقة عيشهم وتجاوبهم مع الزمن وخطه البياني الذي رسمه العالم «يوجين مينكوفسكي» وكذلك مدى تعاملهم مع مبدإ الاستقراء التاريخي الذي كان سيؤهلهم للتنبؤ بالمستقبل وإمكانية تحديد ملامحه، منطلقين من البديهية القائلة أن كل شيء في الوجود يسير في خطة مرسومة بدقة، فيبدأ صغيراً (البداية) ثم يكبر ثم يهرم (النهاية) ، فهل تخرج إمبراطورية العصر عن هذه القاعدة؟ فلو أنهم فعلوا ذلك، واهتموا بمستقبلهم بطريقة أخرى غير التي يتبعها غالبية الشعب الأمريكي، لعرفوا أن عجلة الزمن لا تتوقف، وأن هذه البديهية كفيلة بدحض زعم فوكوياما أن للتاريخ نهاية، ولأدركوا أن البدايات الأولى لأية دورة جديدة متعلقة بنهايات الدورة السابقة بشكل آلي، وحتمي. إلا أن تجاهل هذه

الحقيقة لن يحل مشكلة الأمريكيين بشكل خاص والغربيين بشكل عام، أما حل المشكلة فلا يكمن فقط بطرح التساؤل: لماذا كل هذا الثمن؟ ومن أجل من؟ وإن كان هذا طرف الخيط الأول الذي يتمثل بالبحث الجاد عن الجواب، وبالتمحيص الدقيق في كل ما أدى إلى ما هم عليه، وبالتالي إلى ما هو آت.

إن اليمين المتطرف في أمريكا، والفاشية الجديدة في روسيا وإيطاليا، والنازية الجديدة في ألمانيا وأعرق دول أوروبا لم يأتوا من فراغ ولا عن طريق الصدفة، وإنما جاءوا كنتيجة طبيعية وحتمية لإفلاس الإيديولوجيات، التي عاصروها وآمنوا بها، من كل ما أتت به من أفكار ومزاعم لم تؤت ثمارها خلال المسافة الزمنية التي قطعتها.

وعجلة الزمن التي مرت "باليمين" في أمريكا والغرب، مرت كذلك "باليمين" في الشرق والذي أسماه الغرب "الأصولية الإسلامية" وكان من الطبيعي أن يعيد مرورُ العجلة فعالية هذه الأصولية وذلك لتوفّر الظروف المواتية لبعثها، وقيامها من حالة السبات التي كانت تعيشها لظروف استدعت ذلك أيضاً، وأهمها ما يندرج تحت عنوان الدفاع عن النفس، إذ أن الحملة الشعواء التي يشنها الغرب عموماً وأمريكا الصهيونية بشكل خاص قد استوجبت هذه الصحوة من المسلمين الذين لم يبادروا في تاريخهم للاعتداء على أي (آخر) بل إنهم كانوا دائماً المبادرين للسلم والمستعدين للحرب، ومن هنا كانت هبتهم للدفاع عن حقوقهم المهدورة، واستعادة أمجاد وعزة دينهم وعقيدتهم التي يشوهها

الإعلام الغربي المتصهين، وهذا يؤكد من جديد أن ليس للتاريخ نهاية، أي لا يمكن أن يتوقف كما يريد له الياباني الذي كرّس ماركسيته لخدمة الدولة التي يحمل جنسيتها وأعني به فرنسيس فوكوياما. وإذا كان فوكوياما يتجاهل ما يجري في الولايات المتحدة من انبعاث قوي للميليشيات البيضاء التي بات فعلها من التبلور حداً لا يمكن تجاهله، فإن المتابعين للأحداث وللمتغيرات لا يفعلون ذلك، ليس فقط بدافع الذكاء، بل لأن مؤشرات قوية تشير إلى ما نقول، وليس ضعف دور الديانة المسيحية نتيجة ظهور المسيحية الصهيونية من جهة، وربط الإسلام بالإرهاب من جهة أخرى، إلا واحداً من أهم تلك المؤشرات التي أفرزت الكثير غيرها مما يستوجب رسم علامات استفهام متعددة حول مفهوم "الليبرالية" الأمريكية التي لا تقبل بالآخر ولا تعترف به.. بل وتحاربه وتنكر عليه حقوقه، والأدهى أنها تتعامل على هذا الأساس حتى مع التيارات المعارضة داخل أمريكا.. فهل يكون تعاملها على هذا الأساس مع أي طرف آخر خارج أمريكا مدعاة للاستغراب؟

لقد اتخذت المفاهيم والمصطلحات التقليدية لنفسها مضامين ومحتويات جديدة على يد صناع السياسة الأمريكية، فالديمقراطية الأمريكية لها معانيها ومقاييسها ومكاييلها الخاصة.. والليبرالية الأمريكية لها حدودها وهوامشها وخطوطها الحمراء الخاصة أيضاً، والرفاهية في قناعتها يستحقها فقط الأمريكي ولو جاءت على حساب البشرية كلها، ومن يريد توضيحاً أكثر

عما نتكلم بإمكانه العودة إلى مقررات اجتماع منظمة التجارة العالمية الأخير المنعقد في مدينة كانكون المكسيكية الذي ناقش قرارات السياسة الزراعية في الولايات المتحدة.

كل ذلك كان لابد أن يترك بصماته وتداعياته لدى الشعب الأمريكي، مثلما تركها لدى غيرهم من الشعوب التي تدفع ثمن المضامين الجديدة لهذه المفاهيم، وإن اختلفت نسبة الضرر وطريقة الدفع. وبما أن النتيجة واحدة، فهذا يعني أن السيل قد بلغ الزبا، وأن الدورة المادية في الغرب قد أثبتت فراغ محتواها من الإغراءات التي رافقتها، ليعيش الغرب تداعياتها حد التخمة التي تلح عليهم للتفتيش عن متنفس آخر فكان لابد من دخول الدورة الروحية، وكان الدين هو الخيار لدى جميع الأطراف، حتى العلمانية منها، ولكل طرف أسبابه في خياره هذا، فمنهم من لجأ إليه كحل وحيد للانحلال الأخلاقي الذي آل إليه الغرب بصورة عامة نتيجة ليبراليته المغلوطة، وهو يريد العودة إلى التقاليد الأصلية (المسيحيين الأصوليين). ومنهم من وجد فيه حلاً دبلوماسياً لفكرة سياسية عقائدية تحتاج دعم الدين لتثبت أقدامها وتمرر قوانينها (اليمين الجديد) وهنا يكمن الخطر في هذا التوجه الجديد للغرب نحو الدورة الروحية والذي يكشف أن هؤلاء يفتشون في سعيهم هذا عن وسيلة لتحقيق مآرب سياسية بحتة ولذلك فإن هذه التيارات قد توظف كل الوسائل في خدمة أهدافها السياسية، وعلى هذا فلقد لعب على حبل الدين عبر شحن الناس بفكرة "الخلاص". يقنعون الناس بقدرة خيارهم الجديد على

تخليصهم من أزماتهم الروحية والمادية، بمعنى آخر من أزماتهم الدينية والسياسية والاجتماعية، فاليمين الجديد تيار علماني معني بالسياسة المتكاملة لذلك فهو معني بشحن سياسته بالقيم والفضيلة التي تدعم وجود هذه السياسة، وفي هذا تتضافر جهوده مع جهود تيار المسيحيين الأصوليين المعنيين بالحفاظ على التقاليد بعيداً عن أي تغيير أو عصرنة، في حين أنه (أي اليمين الجديد) يلتقي مع تيار التمامية البروتستانتي في قاسم مشترك أساسي بالنسبة لكليهما وهو ضرورة دعم إسرائيل، وبهذا يعمل التياران لأدلجة الدين وتسييسه لمصلحة السياسة أيضاً. ويقنع هؤلاء الناس القوة وسيلة ناجعة لتحقيق التفوق (على الآخرين) وتخليصهم من أزماتهم المادية بهذا التفوق، وأن الدين والعمل بوصاياه وما يتعلق "بعودة المسيح الثاني" بعد حرب إبادة شاملة يحتاج إلى القوة العسكرية والمال، وبهذا يكون الخلاص على يدهم باعتبارهم يتبنون الخيار الأفضل، وبيدهم حل مشاكل العالم حسب طريقتهم، وهم وإن كانوا يدعون إلى التدين والعودة إلى أصول المسيحية (التي يرسمون حدودها ومعالمها) إلا أنهم لا يتوانون عن التحول إلى ثوريين وفاشيين عند الضرورة في سبيل تحويل العالم إلى كتلة متماهية حسب النموذج الأمريكي، وقد تم الإعلان عن ذلك في العشرين من أيلول 2002 بنص صريح يقول:

" لقد باتت القيم الأمريكية السياسية قيماً كونية، ولهذا يجب أن تنتقل إلى المجتمعات والأنظمة السياسية". وفي سبيل هذه

السياسة بمختلف تياراتها قامت مراكز أبحاث متعددة الاختصاصات عرفت باسم (مجموعات التفكير) وتبث هذه المجوعات أفكارها من خلال العديد من الدوريات ودور النشر التي تلعب دوراً هاماً في صياغة القرار السياسي في أمريكا منذ الثمانينيات ومع ريغان الذي أطلق شعار حرب النجوم لرغبته في خوض معركة "هرمجدون". وبعد ذلك تمثلت هذه السياسة في الانسحاب من معاهدة الحد من الصواريخ المضادة، ومعاهدة كيوتو، وكذلك رفض المصادقة على إقامة محكمة لمحاكمة مجرمي الحرب وجرائم الحرب الدائمة. وجدير بالذكر أن غالبية الأسماء التي صاغت وتصوغ استراتيجية التيارات اليمينية المختلفة، والذي درس معظمهم الرياضيات وتخصص في الاستراتيجية العسكرية ويعملون كمستشارين في وزارة الدفاع، يؤمنون برؤية ألبرت ولستير عن التدخل الانتقائي وتحقيق الديمقراطية بالقوة، وبالتالي فالسلاح ضمانة للديمقراطية، وهو ما يراه ليو شتراوس أيضاً الذي ينتقد العدالة التي تفتقد للقوة لتحقيق مضمونها، وهما يريان في نظام الولايات المتحدة الأمريكية مثال الخير للجميع، وبالتالي فهما يعتقدان أن قوتهما ضرورة ملحة لنشر نظامهما الخيّر في العالم، وبذلك يشرعون كل ما يقومون به. ولعل وجود التربة الخصبة لمثل هذه الرؤى يساعد على هضمها واستيعابها في العديد من مناطق العالم التي كانت رحماً للنظريات والفلسفات الاجتماعية التي سادت لفترة غير قصيرة.

وقد جاءت النزعة المحافظة الجديدة لتقف بالمرصاد لليبرالية الأمريكية الهشة، واستطاعت التحالف ضدها مع نقادها عبر العزف على وتر "الروح التطهيرية" التي يسعى إليها المجتمع الأمريكي الذي يعيش أزمة حقيقة على الصعيدين السياسي والاجتماعي إضافة إلى أزماته الاقتصادية، والذي يحاول المحافظون الجدد إقناعه بأنه ما لم يتوقف قطار الليبرالية فإن أمريكا تسير بالمجتمع نحو الكارثة.

القومية- الحلم

على الضفة الأخرى نجد أنه ورغم مرور عقد من الزمن على سقوط الإتحاد السوفييتي عسكرياً واجتماعياً وسياسياً، ما يزال المواطن الروسي يدفع ثمن خروجه من دائرة الروحية التي كانت كافية لحمايته مما هو عليه الآن من الفقر ، والفساد ، والبطالة، والأكثر من ذلك دحره من الانتصارات العسكرية التي حققها ، والفضاء الذي كانت أقدامه أول من وطأته ، والدعم الذي قدمه للعالم، والعلم الذي هجره شبابه بحثاً عن لقمة العيش. وقد أدى خروج أكثر من خمسة ملايين من أفراد الجيش ليصبحوا بلا مأوى أو عمل يضمن الحد الأدنى من متطلبات الحياة الضرورية، وتشرد تسعة ملايين من طلبة الدراسات العليا ، ناهيك عن الإحباط الذي يعيشه ألوف المقاتلين العائدين من الشيشان بالخزي والإحباط، أدى إلى ظهور أزمة روحية حقيقة لدى الشعب الروسي المحبط، وعبّد هذا المناخ الطريق لما يسمى بالفاشية الجديدة (والتي تختلف تماماً عن الفاشية القديمة في مضمونها) فالفاشية الجديدة تلبس لبوس الروحيات لتعْبر بوابة الاقتصاد والسياسة، ويتجلى مظهرها في سمات وسلوك حليقي الرؤوس الذين بلغ عددهم حوالي 10 ملايين ناشطاً ممن يفتقرون لأي تطلعات توسعية جغرافية بل إنهم يحاربون أي توسع يتجه نحوهم (كالأطماع الأمريكية في ثروات سيبيريا) وهم في ذلك يلتقون مع

الميليشيات البيضاء في أمريكا التي تنادي بـ "أمريكا للأمريكيين" ويطالبونها بالعودة إلى عزلتها السابقة تحت شعار America, back homeوهي الفكرة التي كان الرؤساء الأمريكيون الأوّل يعملون من أجلها قبل أن تطأ الأقدام الصهيونية أراضيهم. وينادي تيار الميليشيات البيضاء بضرورة تفرد الأمريكيين بأراضيهم وقراراتهم وعرقهم الخاص بهم وحدهم دون غيرهم من الأعراق الأخرى وخاصة اليهود الذين يرون فيهم الخطر الأكبر على بلادهم وأمنهم ونقاء عرقهم. وعلى هذا فالنازيون والفاشيون الجدد ليسوا سوى حركات ولدت من رحم واقع مأساوي نتيجة افتقار هذا الواقع لأسس حقيقية كانت جديرة بمساندته في وجه العواصف التي أتت على أسسه السابقة التي قامت على القوميات الضعيفة والإيديولوجيات الهشة.

إن الإفلاس المادي الذي يعيشه المواطن الغربي في الحاضر دفعه بقوة للبحث عن مخلص فكري أو روحي مما كان قد هجره لينضم إلى الملايين المهاجرة وراء العولمة والعلمنة والتغريب. وإذا كان هذا التيار الجديد (الميليشيات البيضاء) الناقم على الواقع قد فشل في محاولته اللجوء إلى الدين بعدما وجد نفسه وجهاً لوجه وفي دائرة واحدة مع اليهود "أشد الناس عداوة" بحجة ارتباط العهد القديم بالعهد الجديد من جهة وبذريعة ترابط فكرة عودة المسيح الجديد مع النبوءة التوراتية التي تحكي عن معركة "هرمجدون" ونتائجها من جهة أخرى، فما كان من هذا التيار وبكل مشاربه، وفي كل مكان تواجد فيه من العالم الغربي،

والذي يعي تماماً الأغراض الصهيونية من مثل هذه الإدعاءات والأساطير المزيفة التي تصب أولاً وأخيراً في مصلحة اليهود بينما يدفع الآخرون جميعاً كلفة هذه المصلحة، ما كان من هذا التيار إلا أن ترك هذا المتنفس المتمثل بالدين رغم حاجته الشديدة إليه، ليبتعد عن أية مصلحة تربطه باليهود، ولجأ إلى بوابة أخرى يخرج منها إلى عالم جديد وكان أن طرق بوابة القومية فصار كمن احتمى من النار بالرمضاء، لأن غالبية القوميات لم تثبت أهليتها لما هو مطلوب منها كونها بدورها قامت على أسس خاطئة وتم تطبيق هذه الأسس أيضاً بمنهج خاطئ خرج بالقطار عن السكة وكانت النتيجة دمار جميع ركابه. ذلك لأن القوميات التي قامت على الاستبداد والاستفراد لا تختلف عن الفاشية بمفهومها السائد، وهي بذلك تتماهى مع الفكرة الفاشية وآنذاك تبدأ بلفظ أنفاسها الأخيرة. وإذا كانت القومية العربية قد احتاجت زمناً أطول من المتوقع لتتفتت (نتيجة عوامل كثيرة منها التفتت الجغرافي للحضن الذي كان يفترض أن يشكل الرحم الذي ستنمو فيه) فإن الإفلاس الذي غادرت (أو تكاد) بسببه يجعل من عودتها أمراً مستبعداً قبل عقود عديدة خاصة حين يتواجد البديل الأكثر قوة وثباتاً وقدرة على شغل فراغها. أما الانسجام الشكلي بين أقطار العالم العربي فليس بوسعه أن يقنع الناس باستمرار بفراغ محتواه، وهذا ما يبرر تمسك الناس بهذا الحلم. وما يبرره المنادون بالقومية العربية والذين يتذرعون بتعاضد الرأي العام العربي إبان الأحداث الأخيرة (الانتفاضة والحرب على العراق) إنما

ينظر إليه بعين أخرى هي عين الإنسانية العاقلة التي تأبى الظلم والإحساس بالغبن، وإلا ما خرجت المظاهرات في الغرب اعتراضاً على سياسة شارون الإجرامية، وما أسفرت آخر الاستطلاعات الأوروبية بنتائج تقول أن 60٪ من الأوروبيين يرون في إسرائيل الخطر الأكبر على السلام في العالم، وما اجتمع العالم لإدانة السياسة الأمريكية والدعم الأمريكي اللامحدود لإسرائيل، فالملايين التي خرجت لم تجمعها قومية واحدة، ولا أرض واحدة، بل ولا دين واحد، لقد جمعهم هم واحد وشعور واحد بالظلم، وخوف واحد على المصير الذي سيلقاه الجميع كل بدوره وحسب خصوصيته، إن هو بقي ساكناً.

وإذا كانت فكرة القومية ـ أية قومية ـ مازالت قائمة في رؤوس الشعوب التي حلمت بها، فإن هذه الشعوب الحالمة تدرك تماماً أن مقومات هذه القومية ـ الحلم ـ آلت أو هي آيلة إلى الزوال، وأن ما يتمنونه ليس أكثر من حلم لهم الوقت الذي يشاؤون ليصحوا منه، لكن ليس لهم حقّ سؤالِ الزمن أن يتوقف ريثما يصحون من حلمهم.

وإذا كانت هذه التيارات متطرفة في أسلوب رفضها للواقع الذي تعيشه والذي يفرض عليها، في عنصريتها ضد الغير أي كان، وفي الشعور الاستعلائي الذي يتملكها، فإنها ليست وحدها في دائرة الشر العالمية، وحسب لانس مورو(2) فإن هناك قطبين للخير وللشر، وكلما اقترب الإنسان من قطب الأشرار أصبح شريراً وكلما اقترب من قطب الأخيار أصبح خيّراً دون أن يعني

ذلك أن الشرير لايفعل خيراً أبداً أو أحياناً، ولا أن الخير لا يفعل الشر أبداً أو أحياناً أيضاً.

ويبرر مورو سبب وجود الشر في العالم فيقول:

" يوجد الشر في العالم لكي يعطينا دروساً وعبرة، وهنا تكمن وظيفته، إذ لو لاه لما عرفنا معنى الخير" أما جواباً عن السؤال : لماذا يرتكب الناس الشر؟ فيرى أن:

" لكل أسبابه في ارتكاب الشر، فمنهم من يقوم به لأنه يسعده، ومنهم للوصول إلى السلطة، ومنهم خوفاً من ضحاياه، والبعض الآخر يفعل ذلك جهلاً، أو غصباً عنهم".

إلا أن الخطر الأكبر من بين مرتكبي الشر هم الذين لا يشعرون جراء ارتكابه بأي تأنيب للضمير ولا يشعرون بآلام ضحاياهم. وإذا كان إبليس أول من ارتكب الشر في الخليقة حين عصا أوامر الخالق عز وجلّ، فإن شرار هذه الخليقة قد لبسوا قناع إبليس مذاك وإلى يومنا هذا، ليغرون العالم بارتكاب المعاصي ويزينون لهم الخطيئة. ولما كانت الأديان السماوية قد ربطت بين المعصية وارتكاب الشر، فإن الكثير من فلاسفة التنوير قد أجازوها باعتبار الشر ـ حسب هيغل ـ ضرورياً لحصول التقدم، عملاً بجدلية التاريخ التي تقول بالمضادات (الخير والشر أو السلب والإيجاب) ويتذرع مورو بتأييده لنظرية هيغل بتمثل الشعوب الأوروبية التي وصلت إلى ما وصلت إليه من التقدم والتطور بعدما لقيته من المعاناة وما دفعته من كلفة باهظة. وهو بهذا يحاول عقلنة الشر بما يتجاوز التفسير الديني له. وهو ما فعله

أيضاً ليو شتراوس الذي يرى بدوره ضرورة تطبيق الديمقراطية ولو بالقوة، ويرى أن "الشرّ ضروري لحل الأزمات، وللتخلص من الخطيئة، ولذلك فالكاذب النبيل هو بمثابة المخلص الذي يحق له تجاوز القانون لأن كذبه كان لسعادة الغير (البشرية) " وهو بهذا ميكيافيلليّ النزعة الذي لا تأخذ الاعتبارات الأخلاقية لديه حيزاً داخل دائرة السياسة والسلطة. بينما يؤيد مقولة ماركس بأن "الدين أفيون الشعوب" لكنه يرى أن الشعوب بحاجة لهذا الأفيون، وهو لذلك يرفض ما يطرحه ماركس وسبينوزا من حل للمسألة اليهودية عن طريق "المجتمع العلماني لأن مثل هذا المجتمع يضم المسيحيين مع اليهود"، وبالتالي يرفض الصهيونية مثلما يرفض الليبرالية التي تساعد على هذا الحل إيماناً منه أن "اليهود ليسوا كغيرهم من الأمم"، وأن "القومية اليهودية موصى بها" ويعلن أنها "فرصة للشباب أن يكونوا يهوداً أي أن ينتموا إلى أمة بدل الضياع في زحام الأمم".

وعلى هذا المبدأ يحمل أنصار وأتباع الحركات التجديدية أو اليمينيون الجدد رايتهم ويندفعون بها مرتكبين أبشع الأعمال العنفية، ويذكر الأمريكيون جيداً المهاجر الأثيوبي مولوجيتا سيراو الذي قضى على يد النازيين الجدد عام 1988وهي الحادثة التي خلفت وراءها صدى عالياً من الاستهجان والاستنكار لدى الشارع الأمريكي في بورتلاند وغيرها. ومذاك لم تتوقف هذه الممارسات في الولايات المتحدة، بل إنها آخذة في التصاعد هناك كما في العديد من الدول الأوروبية خاصة

ضد الملونين أو الذين ينضوون تحت مظلة قومية معينة (كاليهود).

وفي الفترة الأخيرة تقدمت العديد من السفارات الأفريقية باحتجاجات متماثلة لوزارة الخارجية الروسية على تزايد عمليات الاعتداءات على مواطنيها ودبلوماسييها في موسكو، إذ كشفت البيانات عن اعتداءات مختلفة على مواطني 23 دولة من المقيمين في روسيا منذ عام 2000 ومن بينهم دبلوماسيين معتمدين هناك. وقد أشارت صحيفة "لا فيستا" إلى أن هؤلاء المعتدين هم من النازيين الجدد الشباب دون سن العشرين الذين يشاع أنهم يستغلون حتى دعم أجهزة الأمن. وقد تنامت هذه الظاهرة حتى دعيت بـ "الإرهاب الأبيض" وأن أجهزة الأمن تتجاهل احتفال هؤلاء بعيد ميلاد هتلر سنوياً، حتى حين أقدموا في أحد هذه الاحتفالات (العام الماضي(9) على قتل شيشاني شاب، وبعدها قتلوا هندياً وأفغانياً وأرمنياً. إضافة إلى الاعتداءات المتواصلة التي يشنونها على مراكز تجمع القوقازيين والداغستانيين والأذربيجانيين. ويحاول هؤلاء أن يزرعوا الخوف في النفوس بمظهرهم وهيآتهم المتميزة بالملابس الجلدية السوداء وشعار هتلر النازي ولا يتوانون عن إعلان كراهيتهم بل وعداوتهم للأجانب ويطالبون بطرد السود والآسيويين والقوقازيين من روسيا.

ولذلك فإن المحافظين الجدد يلقون معارضة شديدة من هذه التيارات العنفية الرافضة لوجودهم والتي تنادي بنقاء عرقها من

أية شوائب (أعراق) أخرى تهدد وجودهم كما هدد اليهود عبر التاريخ الشعوب التي سكنوا أراضيها واستغلوا حاجة أهلها للمال الذي هو معبود اليهود الأول، أو باسم الدين الذي يربطونه كما أشير سابقاً بالديانة المسيحية وإقناعهم بوحدة مصير أتباع الديانتين. وإذا كانت الحياة بزخمها تشغل ذاكرة الناس بالحاضر، فالتاريخ لا ينسى.

البداية..

يخطئ من يظن أن اليهود الذين صهينوا المسيحية قد ظهروا في أواخر القرن الماضي، وأن بداية كراهية العالم لهم ولأخلاقياتهم بدأت منذ ذلك الوقت.

وقد تباينت الآراء حول بداية ظهور حركة المسيحية الصهيونية، إلا أن نشر المفكر البروتستانتي توماس بريتمان لكتابه (ثورة الثورة) عام 1607 يشير إلى وجودها مذاك، إذ يطرح الكاتب تساؤلاً حول إمكانية عودة اليهود إلى القدس مجدداً، وقد.ظهر تعبير المسيحية- الصهيونية للدلالة على المسيحيين الذين يدعمون الصهيونية، مثل العديد من رجال الدين والسياسة، ونخص بالذكر منهم نابليون بونابرت الذي أكد لليهود في أحد خطاباته أنهم الورثة الشرعيين لهذه الأرض المقدسة فقد قال في بيان أصدره عام 1799:

"من نابليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في إفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين.

أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذين لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومي، وإن كانت قد سلبتهم أرض الأجداد فقط.

إن مراقبي مصائر الشعوب الواعون المحايدون - وإن لم تكن لهم مواهب المتنبئين مثل إشعياء Isaiah ويوئيل Joe - قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع من دمار وشيك لمملكتهم ووطنهم: أدركوا أن عتقاء الله سيعودون لصهيون وهم يغنون،

وسيولد الابتهاج بتملكهم لإرثهم دون إزعاج فرحاً دائماً في نفوسهم (إشعياء) Isaiah 35:

انهضوا إذن بسرور أيها المبعدون. إن حرباً لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، تخوضها أمة دفاعاً عن نفسها بعد أن اعتبر أعداؤها أرضها التي توارثوها عن الأجداد غنيمة ينبغي أن تقسم بينهم حسب أهوائهم. وبجرة قلم من مجلس الوزراء تقوم للثأر وللعار الذي لحق بها وبالأمم الأخرى البعيدة. ولقد نسي ذلك العار تحت قيد العبودية والخزي الذي أصابكم منذ ألفي عام. ولئن كان الوقت والظروف غير ملائمة للتصريح بمطالبكم أو التعبير عنها، بل وإرغامكم على التخلي عنها، فإن فرنسا تقدم لكم إرث إسرائيل في هذا الوقت بالذات، وعلى عكس جميع التوقعات.

إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية به والذي يقوده العدل ويواكبه النصر جعل القدس مقراً لقيادتي، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التي لم تعد ترهب مدينة داود.

يا ورثة فلسطين الشرعيين إن الأمة التي لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادهم لجميع الشعوب (4 :6يوئيل Joe) [1]تدعوكم لا للاستيلاء على إرثكم بل لأخذ ما تم فتحه والاحتفاظ به بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء.

---

(1)الصهيونية غير اليهودية ص 106.. 107

انهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوي شرفاً لإسبرطة وروما (15: 12 Macc)، وإن معاملة العبودية التي دامت ألفي عام لم تفلح في إخمادها.

سارعوا! إن هذه هي اللحظة المناسبة ـ التي قد لا تتكرر لآلاف السنين ـ للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم، تلك الحقوق التي سلبت منكم لآلاف السنين وهي وجودكم السياسي كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعي المطلق في عبادة يهوه، طبقاً لعقيدتكم، علنا وإلى الأبد (4 :20يوئيل .(1)(Joel)

وقد جاء كلام نابليون قبل وعد بلفور بحوالي 180سنة، ما دعا وايزمان لوصف نابليون بأنه:"أول الصهيونيين الحديثين غير اليهود".

ومن الشخصيات التي دأبت على خدمة هذه الحركة (المسيحية الصهيونية) منذ القرن التاسع عشر الصناعي الإنكليزي إدوارد كازاليت (1883 - 1827) ولورنس أوليفنت (-1829 1886) والأمريكي ويليام بلاك ستون الملقب بأبي الحركة الصهيونية، وكذلك قس السفارة البريطانية في فيينا ويليام هشلر (1931 -1845) ولعبت الحركة دوراً أساسياً في إصدار وعد بلفور عام ..1917والاستيلاء على أرض فلسطين تحت هذه الذريعة التاريخية، فلم يكن الشعب اليهودي واستقراره في حساباتها طالما هو خارج أرض فلسطين، والأهمية فقط للذين يعودون إليها، وقد قالها عام 1943إسحاق غرين باوم–رئيس

لجنة الإنقاذ في الوكالة اليهودية رداً على من ينادي بضرورة اهتمام اللجنة بيهود أوروبا:

"يجب علينا أن نقاوم هذا التوجه الذي يدفع النشاطات الصهيونية إلى مهام ثانوية. لأن عنزة في أرض إسرائيل أكثر أهمية من كل مجتمعات الشتات".[2]

كما أنها لم تعبأ يوماً بالمسيحيين كشعوب بل إنها تدعوهم بالكفرة وتسيء الحديث عن المسيح "عليه السلام". وقد ضاق بهم ذرعاً كل الغيورين على بلادهم ومصالحها وأمنها وأخلاقها مثل

جورج واشنطن الذي قال: "إنّ اليهود أضرّ بنا من جيوش العدوّ" هكذا يقول جورج واشنطن فيما نقله عنه "بلتيان" في كتاب "حكم لجورج واشنطن"، ويضيف الرئيس الأمريكي: "إنهم أخطر من العدوّ مائة مرة، أخطر على حرّياتنا وعلى القضية التي نعمل جميعاً لكسبها". وفي حكمة أخرى من حِكَمه يقول: "ومن المؤسف حقاً أن سكان الولايات المتحدة لم يطاردوهم كما يطاردون الحيوانات الضارية، إنهم أخطر عدو على سعادة أمريكا"[3]

أما بنيامين فرانكلين فيقول:

1- يقول أبسط مواطني الدول الأفريقية مثل (بوركينا فاسو وتشاد ومالي) أن سياسة أمريكا الزراعية تحكم عليهم مباشرة بالموت جوعاً وتعلق رقابهم على حبل المشنقة. ورد هذا في مقالل "جيمس بي بنكرتون" نشرته "واشنطن بوست" وجريدة الاتحاد الإماراتية في 16أيلول 2003.

2- أستاذ تاريخ الرئاسة الأمريكية في جامعة بوسطن، وعضو مجلة "تايم" والنص مأخوذ بتصرف من كتابه "الشر".

3- " تبرئة هتلر من تهمة الهولوكوست" محمد جربوعة ص 14إصدار المركز العالمي للاستشارات الاستراتيجية.

(3)من كتاب "حكم لجورج واشنطن"، لـ"أ - أ - بلتيان" ص 125ـ126، ط سنة 1894. وانظر كذلك "الطابور الخامس لصهيون" لجاك تني ص (3)الدار القومية للطباعة والنشر.

"..هناك خطر كبير ضدّ الولايات المتحدة الأمريكية من اليهود، ففي كل أرض عاشوا فيها دمّروا المستويات المعنوية للناس الذين يعيشون بينهم، وأفقدوا التجارة طابع الأمانة الذي يجب أن يتوافر لها... إنني أحذركم أيها السّادة، فإن لم تطردوا اليهود من البلاد إلى الأبد فإن أحفادكم سيلعنونكم في قبوركم، فلن يكون اليهود أمريكاناً قط، ولو عاشوا بيننا لعشرة أجيال، والنمر لا يمكن أنْ يغيّر النّقاط التي تعلو جلده، إنّ اليهود خطر على هذه البلاد ويجب أن يبعدوا عنها بحكم دستورها"[4]

وحين يتحدث هؤلاء القادة العظماء والذين يتمتعون ببعد النظر والرؤى الثاقبة والوطنية الصادقة التي لا تقبل المساومة والنفاق، فإن أحداً لا يستطيع أن يشكك بما يقولون أو بنواياهم، أو بتطرفهم، وأحداً لا يستطيع القول أنهم "عنصريون" أو "معادون للسامية" أو حتى "إرهابيون".

واستمرت مسيرة هذه الحركة التي صارت تضم تحت جناحيها أكثر من 40 مليون من الأتباع والمناصرين وقد فاق نشاطها نشاط أية حركة أخرى في العالم وخاصة من الناحية الإعلامية والدينية، إذ يساعدها في التبشير لأفكارها حوالي 80 ألف رجل دين من المسيحيين واليهود وغيرهم من المؤسسات الدينية في الولايات المتحدة والتي تؤيد بشدة قيام دولة إسرائيل، إلا أن تيودور هرتزل كان أول من استخدمه لهذا الغرض في

(4)كتاب "الصهيونيون" للقاضي أرمسترونج ص 17، ط 1950م.

العصر الحديث، وقد مرت هذه الحركة بفترات ركود وكمون اضطرتها لتخفيف نشاطاتها وتحركاتها نظراً لحساسية ما كانت تنادي به، ولانشغالها بتأسيس قاعدة قوة لها.

على الضفة الأخرى..

في أواخر الستينيات ظهرت تيارات جديدة مؤيدة لحقوق الإنسان كحق النساء في الإجهاض وحقوق المثليين وغير ذلك، الأمر الذي فتح النافذة للتيارات المتشددة لتطل برأسها من جديد بعد حالة الركود التي فرضتها ظروف أمريكا المنشغلة بمواجهة الاتحاد السوفييتي وإعاقة تقدمه. وكان لظهور هذه التيارات الجديدة في أمريكا مبرراً إضافياً لتنشط من جديد فتدعو للعودة إلى الأصول حيث الأخلاق والقيم لأن الحقوق التي تنادي بها التيارات الجديدة ستودي بأمريكا (إلى الجحيم). وتنافست هذه التيارات على التأثير والتغيير في السياسة الأمريكية الخارجية والداخلية، وكل يشد الحبل إلى جهته، التركيز على الإنسان، ومكافحة الإرهاب، إلى الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية وشمل ذلك إعادة صياغة المفاهيم السائدة مثل الديمقراطية والليبرالية واللتان مثل كل المفاهيم الأخرى لهم مواصفاتهم الخاصة في القاموس الأمريكي كما في قاموس المحافظين الجدد الذي يختلف عما هو عليه لدى المسيحيين الأصوليين.. وخاصة بعد ما أدرك هؤلاء نيّة المحافظين الجدد في التذرع بالجانب الأخلاقي الذي يحارب الفساد والانحطاط الاجتماعي قبل وأثناء التحول إلى الحركة السياسية

الإيديولوجية التي ترأسها بات روبرتسون المبشر البروتستانتي الذي قال: "إذا تخلت أمتنا عن إسرائيل فإن غضب الله سيحل عليها، إننا لا نستطيع إلا أن ندعم إسرائيل، ذلك لأن الأنبياء في كل العهد القديم حذروا من أن الله سيدين كل من يقف في وجه إسرائيل"[5]

وقد استطاع اليهود دائماً أن يجروا إلى دائرة صهيونيتهم الجديدة هذه- إضافة إلى رجال الدين- رجال السياسة والاقتصاد، وقد لقوا الصدى حتى لدى رؤساء أمريكا ورجالات سياستها الأقوياء ممن يؤمنون بفكرة المسيحية- الصهيونية المبنية على (النبوءة) الدينية التي اختصروها باسم (هرمجدون)، فقد كان تأثيرهم على هؤلاء قوياً إلى درجة دفعت ليندون جونسون للاعتراف أن:

" القصص التوراتية من أهم ذكريات طفولته" بينما قال جيمي كارتر في الكنيست الصهيوني عام 1979: " لقد أقام الرواد وأقوام تجمعوا من كلا الشعبين من دول شتى إسرائيل والولايات المتحدة، فشعبي كذلك أمة لاجئين ومهاجرين، إننا نتقاسم معاً ميراث التوراة "

إلا أن أشهر من تأثر بهذه (النبوءة) وآمن بها دائماً كان الرئيس رونالد ريغان الذي لم يكن يتوانى عن التصريح لاعن يمينيته المتشددة، والتي أعلنها في خطابه الأخير بقوله: " آن

5- جريدة الدستور الأردنية 17أيار. 2002

الأوان لتحرير الثقافة الأمريكية من الفكر اليساري"، ولاعن إيمانه المطلق بالفكرة الأساسية للمسيحية الصهيونية حول "هرمجدون" التي قال عنها :

"إنني أحياناً أومن بأننا نتوجه بسرعة كبيرة الآن نحو هرمجودن Armagedon وهي الفكرة التي يؤمن بها اليمين المسيحي في أمريكا والتي تنبئ بعودة المسيح بعد حرب عالمية شاملة لا ينجو منها إلا المخلصون (شعب الله المختار) الذين سيتحولون إلى مسيحيين يعودون مع المسيح المخلّص فيحكمون الأرض، وهو ما يفسر حتمية وجود أسلحة الدمار الشامل في العالم، ولكن بأيد محددة، وهي المخولة بخوض المعركة الكبرى ضد (الشر) وضد الذين يريدون السلام (الإرهابيين).

إن فهم مقولة (هرمجدون) يكشف النقاب عن سر العلاقة القوية بين الإدارتين الأمريكية والإسرائيلية القائمة على المصالح الاقتصادية والسياسية وإن كانت ترتكز على أسس دينية يؤمن بها أكثر من 40 مليون ممن يصدقون عودة المسيح المنتظر وإقامة مملكة الله على الأرض، والتي دعت الحاخام لي لينفجر ليقول:

" إن البيوريتانيين أكثر تعصباً من اليهود ، وأن غلبة عددهم وقوة نفوذهم بالمستعمرات مكنتهم من رسم الملامح الأساسية لأمريكا بريشة توراتية".

تاريخ العلاقة الإسرائيلية الأمريكية

وبالرجوع إلى الوراء قليلاً في مسيرة التاريخ الأمريكي القصير، نرى أن العلاقة بين الأمريكيين واليهود لم تكن بهذا الترابط، إذ لطالما رفض الأمريكيون الوجود اليهودي بينهم ولطالما أفصح أشهر رجالات أمريكا عن سوء نية اليهود على أراضيها وتجاه شعبها، وقد تجلت مواقفهم من اليهود المهاجرين في نداء أطلقه الرأي العام الأمريكي عام 1933 ـ الذي كان يعيش بسببهم حالة هياج ـ رافعاً شعار "أمريكا للأمريكيين" منطلقين من كراهيتهم للعبيد من جهة وعدائهم للشيوعية من جهة أخرى، في إغلاق باب هجرة يهود ألمانيا الهاربين من هتلر والبالغ عددهم آنذاك حوالي 300 ألف مهاجر، ولعل أبرز من تعرض لهذا العداء المستفحل من الأمريكيين كان ألبرت أينشتاين كونه يحمل ثلاث وثائق تضعه على لائحة العداء الأمريكي وهي: ألمانيته، ويهوديته، وشيوعيته، وبلغ الأمر "بجمعية النساء الأمريكيات الوطنيات" اليمينية أن طالبت دائرة الهجرة والجوازات الأمريكية بعدم منحه تأشيرة دخول لأمريكا كونه يهدد بشيوعيته الرأسمالية الأمريكية، مع أنه نفى انتماءه أو صلته بالشيوعية الدولية، وهو الذي قصد الولايات المتحدة ـ على حد قوله ـ "بحثاً عن بلد تسوده الحرية السياسية والمساواة بين المواطنين والتسامح الديني والحرية التي تتضمن حق الإنسان في التعبير عن آرائه السياسية واحترام حقوق الآخرين وهذه الشروط لم تكن تتوافر في ألمانيا آنذاك" كما قال. ولم تُجْد تصريحاته

هذه في رد عداء اليمين الأمريكي عنه كيهودي، وحدث عام 1938 أن طالب مع زملاء له برفع حظر تصدير السلاح لإسبانيا وحكومتها الجمهورية التي تتعرض لهجوم الفاشيين، ليفاجئ صبيحة اليوم التالي بإحدى صحف نيويورك وقد نشرت مقالة عدائية تحمل توقيعاً مسيحياً يمينياً جاء فيها:

"إن أينشتاين يتبنى حركة تستهدف قتل المسيحيين واضطهادهم في إسبانيا، وأن أينشتاين نموذج لليهودي الذي يعتبر العالم ملكه وحده مع أهله، وما وجد الباقون إلا لكي يداسوا بالأقدام.." وكأن لاحقّ لغير اليهود في الوجود" هذا الموقف (العدائي) لم يمنع أينشتاين من التعبير عن هواجسه من التيارات اليمينية الأصولية التي تحكم قبضتها على الإعلام بقوة لا مثيل لها في أوروبا، وقد لمس ذلك بنفسه خلال الحملة التي شنت ضده عبر نشر وسائل الإعلام صوراً ، قال أنها مفبركة، تظهره مع زعماء شيوعيين، وقد نفى ذلك قائلاً أن "الصور زيفت بدوافع سياسية".

وما لبث أينشتاين أن شعر بالخجل من جنسيته الأمريكية إزاء ما كان يشهده من اضطهاد للسود الذي وصفه بالهستيريا وقال فيها:

"إن الديمقراطية الأمريكية هي مظهر خارجي يخفي إرادة قهر الأقليات والسيطرة عليها سياسياً وثقافياً. وهذا التيار الاستبدادي موجود في كل مكان لكن بشكل مموه".

ولم يكن أينشتاين وحده الذي تعرض لهذا الموقف الرافض

للوجود اليهودي من قبل اليمين الأمريكي، فقد شاركه في ذلك العالم البريطاني روبرت أوبنهايمر الذي درب جيلاً كاملاً من الفيزيائيين الأمريكيين، وذلك لمعارضته صناعة القنبلة الهيدروجينية التي كانت تمثل لهم (الأمن الأمريكي) وغيره الكثير من العلماء والمفكرين، الذين لقيت طموحاتهم مصرعها على يد الذين حملوا لواء "أمريكا للأمريكيين" منذ ولادة هذا الشعار وحتى الآن .

ويجدر في هذا السياق أن نأتي على ذكر الكاتب اليميني المتشدد باتريك بوكانان الذي حققت كتبه أعلى المبيعات عند صدورها.

عمل هذا الرجل مستشاراً لثلاثة رؤساء جمهورية أمريكيين، وترشح للانتخابات الرئاسية في عامي 1992 و 1996 باسم الحزب الجمهوري، لكنه فشل بسبب آرائه اليمينية المتشددة، فما كان منه إلا أن ترشح في انتخابات عام 2000 ضد آل غور وجورج بوش باسم حزب الإصلاح، ورغم عدم فوزه فقد كانت هناك شريحة واسعة تأثرت بأفكاره كإعلامي بارز ينادي بتعزيز الهوية الأمريكية، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 وذلك عبر نشر الخوف من الأجانب، ومن الأفكار اليسارية المنتشرة في أمريكا، وهيمنت أفكاره على الرأي العام وعلى أعضاء الكونغرس "الديمقراطيين". وقد أشار بوكانان في كتابه "موت الغرب «The death of the West» إلى أن غزواً إسلامياً عربياً أفريقياً خطيراً يجتاح العالم الغربي من شأنه

أن يحتل العالم الجديد بتكاثره المخيف نظراً لانخفاض معدل الولادات في العالم الغربي معتمداً في رفضه لهذا الغزو ومحاربته على قول جان ماري لوبان، اليميني الفرنسي: "ليس فقط من الناحية الإثنية، ومن جانب نوعنا كجنس بشري، بل أيضاً من الناحية الحضارية والأخلاقية، فإننا لم نعد شعباً واحداً وأمة واحدة أمام الله، فقد أصبح الملايين من الأمريكيين يشعرون بأنهم غرباء في أرضهم، وانتشرت ثقافة الجنس واللذة وغاب الأبطال واختفى الماضي العظيم، وانقلب عالمنا على نفسه"[6]

ويرى بوكانان أن الليبراليين والماركسيين "يسعون إلى إزالة الإيمان المسيحي من قلوب سكان العالم الغربي" مع أنهم، كما يقول، يبثون أفكارهم (السامة) بطرق سلمية بعيداً عن العنف والثورة، ويحققون ذلك عبر سيطرتهم على المؤسسات الفكرية والتعليمية وتسييرها بالوجهة التي يريدونها (ص 79من الكتاب المذكور).

وهو يحارب الأفكار الآتية مع هؤلاء وخاصة الحرية الجنسية، التي تشكل فضيحة كبرى تتصدر قائمة القضايا مثار الجدل في الولايات المتحدة، ولم تجد خطوة الرئيس بوش نحو رفع ميزانية الحملة القائمة لصالح "الامتناع عن العلاقات الجنسية" إلى 135 مليون دولار بعد أن كانت 33 مليون دولار الصدى المطلوب، حيث أكدت مصادر أخرى أن الامتناع وحده "غير كاف لحماية صحة وأخلاقيات المراهقين، نظراً لتأثير البيئة المنفتحة التي

6- ص 5من كتاب "موت الغرب" لبوكانان.

يعيش فيها الأولاد" كما تقول ديبورا روفمان Deborah Roffmanمدرّسة الثقافة الجنسية في بلتيمور، ومؤلفة عدة كتب في هذا الشأن. وكما كتب جيمس غرين وود James Green Woodممثل الجمهوريين، للرئيس مطالباً بتكريس 100مليون دولار للحد من "التعليم المختلط" قائلاً أن "الامتناع" وحده غير كاف، ولا يوجد دليل علمي يؤيد ذلك، بينما يرى أن "الحد من الاختلاط" من شأنه أن يحفظ المراهقين صحياً وأخلاقياً. [7]وقد بدت حملة بوش في الاتجاه تركز على الجانب الصحي أكثر من الجانب الأخلاقي بحجة الحد من انتشار الأمراض الجنسية المعدية من جهة، والحد من التأثير السلبي والخطر لعمليات الإجهاض التي تخضع لها المراهقات، الأمر الذي اعتبر مأخذاً عليه من قبل اليمين "المحافظ" الذي لم يُخرج الكاتبة جوديث ليفين Judith Levine من دائرة هجومه، بسبب كتابها الذي يحمل عنوان :"ضار للقاصرين" أو « Harmful to Minors » والذي تقول في مقدمته:

"في أمريكا لا يمكن أن تنشر كتاباً عن الجنس عند الأطفال وتبقى آمناً.."

فقد لاقت الكاتبة عراقيل كثيرة واعتراضات من دور النشر قبل أن تتمكن من نشره في جامعة "مينوسوتا" Minnosota وتلقت اتهامات كثيرة إثر نشره، وأدرج اسمها في قائمة

The Observers April 28.2002. -7

"الأكاديميين محبي الأطفال" لأنها تظهر في الكتاب وكأنها تؤيد الجنس عند الأطفال. أما روبرت نايت Robert Knight فقد علق عليه بقوله: "كتاب شيطاني للغاية".

ناهيك عما كتبته الصحف الغربية (الهيرالد تريبيون) عن تحرش رجال الكنيسة الجنسي للأطفال وعدم محاسبتهم كما يجب وعلى قدر الجريمة الإنسانية والأخلاقية التي تزداد بشاعتها إذ تقع على يد من يفترض أنهم حماة الأخلاق والمبادئ والقيم، واكتفت الكنيسة في الفاتيكان ببقائهم المشروط بعدم تكرارها تحت طائلة العقوبة في المستقبل في حال التكرار.. لقد بلغ الفساد مبلغاً منح هؤلاء المتشددين مزيداً من الذرائع للتدخل والتصرف بما يتناسب وشعاراتهم.(8)

لعبت هذه المواقف دورها في دعم موقف اليمين المتشدد وحملته ضد الحريات التي تعجز الإدارة "الديمقراطية" عن حلها أو حتى الحد منها، في الوقت الذي تشكل فيه هذه القضايا العناصر الأساسية للحضارة الغربية كما يراها باتريك بوكانان والتي تتمثل في الدين، الرأسمالية، السلطة، الأخلاق"التقليدية"، الضبط الجنسي- الوطنية، والتوجه المحافظ عموماً، مؤكدين أن المفكرين اليهود والماركسيين الفارين من ألمانيا، الذين حملوا معهم معاول تهديم عناصر الحضارة الغربية، ما كانوا لينجحوا في مهامهم التدميرية هذه لولا أنهم لم يكونوا واضحين منذ البداية من جهة، ولولا أن هذا الجيل قد وصل إلى حالة ملل كبيرة

8- هيرالد تريبيون: 31ز أيار 2002

دعتـه للتـأثر بالأفكار المناهضـة لحرب فـيـتنام وتداعـيـاتها ملقـيـاً اللوم في فشل حرب فيتنام على الحزب الديمقراطي آنذاك ومرشحه جورج ماكغرين ومدير حملته الانتخابية "بيل كلينتون".

وانطلاقاً من فهم آراء ومواقف بوكانان كيميني، يمكن إدراك وفهم أن مشكلة العالم الثالث في أمريكا لا تنحصر في نشاط اللوبي الصهيوني المباشر ضده فقط، بل وفي استجابة اليمين المتشدد والجديد لنفوذهم الكبير هناك، وهم الذين تلقى أفكارهم آذاناً صاغية لدى فئة كبيرة من الأمريكيين ممن أوصلوا جيسي هيلمز وجون ماكين إلى مجلس الشيوخ لتمثيلهم فيه. وكذلك الكاتب الأمريكي اليهودي دانيال بايبس والذي يتبوأ عدة مناصب حساسة مثل رئيس منتدى الشرق الأوسط (فيلادلفيا) ويملك موقعاً حصر مهامه في "مراقبة الحرم الجامعي والمؤسسات الأكاديمية التي تنتقد إسرائيل أو حتى تتعاطف مع الفلسطينيين، وكان ترشيحه لعضوية مجلس إدارة "معهد السلام" من قبل الرئيس بوش مفاجأة أذهلت الأعضاء الأمريكيين المحايدين والذين يعرفون مواقفه المناهضة لكل ما تنادي به رسالة المعهد المذكور، فهو لم يخف يوماً مواقفه وآراءه المتطرفة و منها أنه يرفض أي تصوير إيجابي للتاريخ الإسلامي والعقيدة الإسلامية في المدارس العامة، وأنه يرفض قول الرئيس بوش أن "الإسلام دين سلام"، ويتبنى نظرية وحيدة لحل النزاعات تقول أن السلام يتحقق فقط عبر إلحاق أحد الأطراف الهزيمة بالآخر عسكرياً، وليس أخيراً أنه يؤمن أن ليس للمسلمين أي ارتباط ديني بالقدس.

إنه في النهاية واحد من اليمينيين المتطرفين الذين لم يعودوا يجدون ضيراً في التصريح بآرائهم ومواقفهم بكل جرأة وتحدٍ وحده العالم الثالث يدفع ثمنهما. والذين استمعوا لخطاب الرئيس بوش في الأول من حزيران في حفل تخريج 908 ضباط في إحدى الكليات العسكرية الشهيرة في الولايات المتحدة، والذي تكلم فيه بصفته قائد أقوى دولة على الكرة الأرضية، يدرك أن الخطاب بمثابة بيان تقليدي يعكس وجهة نظر اليمين المحافظ نحو مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية في ظل التهديد والخوف من "ضربة قادمة" وذلك بهدف إيصال رسالة إلى الشعب الأمريكي مفادها أن (الإرهاب) الذي يصدره "الإسلام" للغرب يجب أن يُلجم، وسوف يتم ذلك للولايات المتحدة. إن هذا الخطاب الذي أراد الرئيس بوش تطمين شعبه فيه، أراد عبره أيضاً كسب دعم هذا الشعب في حروبه العسكرية الحالية والقادمة باسم محاربة "الإرهاب" ودول "محور الشر" في تلميح مباشر للمملكة العربية السعودية ولدول الطوق بحجة دعمها أو إيوائها لما تسميه "بؤر الإرهاب" في إشارة إلى المنظمات الإسلامية المقاومة للاحتلال مثل "الجهاد الإسلامي" و"حماس" وحتى "حزب الله" ويتم اتخاذ هذه المواقف تحت الضغط الإسرائيلي المختلف الأشكال على الولايات المتحدة لتبارك ولتغض النظر عن ممارسات القادة الإسرائيليين في فلسطين والذي لا يتوانون حتى عن استفزاز الفلسطينيين للقيام بعملياتهم الاستشهادية ولو على حساب الإسرائيليين ليجدوا ذريعة تبرر سياساتهم في منع إقامة دولة

فلسطينية من جهة، وفي ارتكاب المجازر بدعم أوعلى الأقل بصمت وتجاهل من قبل الولايات المتحدة، الأمر الذي يستوجب دائماً ضرورة طرح السؤال الهام:

- من يحكم أمريكا؟

المحافظون (الجدد) وإسرائيل..

يدرك المراقب لما يجري في أمريكا من ائتلاف واختلاف أن أهم ما يساوي بين عتاة المحافظين الجدد هو تأييدهم المطلق لإسرائيل. وعلى هذا فليست أحداث الحادي عشر من أيلول 2001هي التي كشفت النقاب عما يسمى "بالمحافظين الجدد" كما يتراءى للبعض، إلا أنها أعطت هؤلاء ذريعة جديدة للبقاء داخل مطبخ القرار الأمريكي مدعومين بالفاعلية التي تتمتع بها المنظمات الصهيونية واليهودية منذ تيودور هرتزل الذي وضع المفكرة التي تتضمن برنامج عمل هذه المنظمات وتحسن هي تطبيقه وتنفيذ بنوده التي تصب جميعها في مصلحة إسرائيل، التي شوهت محتوى الديمقراطية والليبرالية بل والعلمانية الأمريكية التي خضعت للابتزاز الصهيوني باسم الدين بينما تنحيه هي جانباً حين لا يتعلق الأمر بإسرائيل. ومن هنا كان رفض "المحافظين" أو عدم ارتياحهم لفوز بوش الأب قبله، فقد كانوا يرون فيه الجمهوري المعتدل الذي يميل إلى المساومة والتفاوض، وهو ما أفقدهم الثقة في سياسته التي عوضهم عنها جورج بوش الابن بتعيينه الكثير من زعماء اليمين بتياراتهم المختلفة في الكونغرس والبنتاغون.

ولقد أعطت المواقعُ الهامة "المحافظين " دفعاً قوياً للتحكم في توجيه دفة الحزب الجمهوري بمساعدة الجماعات اليهودية هناك، وظهر التوافق والتكامل في المصالح جلياً بين الطرفين ما جعل المحاولات العديدة للجماعات المؤيدة للسلام وبعض الكنائس المعنية بالسلام في الشرق الأوسط، ذات تأثير محدود هناك.

ولعل نظرة عاجلة إلى المواقع التي يحتلها هؤلاء المتشددون بالتنسيق مع اليهود الذين يشغلون بقية المواقع الهامة في مطبخ القرار الأمريكي تكفي لإدراك دورهم ومعرفة سر تجاوزهم لكافة الأسوار والحواجز في القانون الدولي. فعلى سبيل المثال شغل ويشغل اليهود المناصب التالية:

مساعد وزير الدفاع- مدير الشؤون الإدارية،- نائب أول لمعاون وزير الدفاع لشؤون المشتريات والتكنولوجيا والإمدادات، وآخر للجاهزية المادية، وغيره للبرامج النووية والكيماوية والبيولوجية الدفاعية- مستشار عام- مفتش عام وسواهم لشؤون الأمن البيئي، وآخر للرقابة المالية وغيره للعمليات الخاصة والصراعات المحدودة، ومدير قسم الاستفادة من خدمات الشركات الصغيرة والخاسرة، إضافة إلى مندوب الولايات المتحدة الدائم للأمم المتحدة، ونائب وزير الخارجية. في الوقت الذي يشغل فيه اليمينيون المتشددون مناصب مماثلة تهتم بالهندسة الدفاعية (مدير أبحاث) والمشتريات والتكنولوجيا (نائب معاون وزير الدفاع) وآخر مثله للشؤون الصناعية وغيره لمراجعة المشتريات ومساعد وزير الدفاع لسياسة إدارة القوات، وشؤون القوات

الاحتياطية، وآخر للشؤون الصحية ومسؤول السياسة العسكرية والأمن الدولي والحد من الأسلحة في وزارة الخارجية الأمريكية.

أما اليهود المحافظون المتشددون - في آن معاً- فيشغلون مناصب هامة في وزارة الدفاع بين مسؤول عن سياسات الوزارة ومسؤول عن شؤون الأمن الدولي وتخطيط السياسات في وزارة الخارجية.

وتشير الإحصائيات الصادرة في 4 شباط 2002 عن" مركز المعلومات العسكرية" أن ميزانية وزارة الدفاع والتي يشغل معظم مناصبها كما أسلفنا، إما يهود أو يمينيون أو كلاهما معاً، أي يهود يمينيون متشددون، قد تصل إلى1،396 مليار دولار إضافة إلى 8،6 مليار دولار لتطوير الأسلحة النووية التي تتولاها وزارة الطاقة، بينما وصلت ميزانية وزارة التعليم بعد العديد من الانتقادات إلى 52 مليار دولار فقط، و وزارة الصحة (49 مليار دولار) أما الشؤون البيئية فقد خصص لها 28مليار دولار مع أنها مصدر التلوث البيئي الأول في العالم. كذلك تشير الإحصائيات الجديدة إلى أن زيادة بلغت 15٪ طرأت على الميزانية العسكرية عما كانت عليه أثناء الحرب الباردة وقبلها في مواجهة "الاتحاد السوفيتي" الذي انهار دون حرب أو دماء أو قتال بعد كل هذا التسليح وهذه الاستعدادات الهائلة والتي كانت على حساب بقية القطاعات في الولايات المتحدة وديونها على الأمم المتحدة.

وفي بحث خاص أشارت الباحثة الأمريكية آن كورنبلوت

Ann Corn plotحول "العلاقة الأمريكية -الإسرائيلية من خلال أسرة بوش" من الجد (بريسكوت بوش) الذي كان مديراً لمصرف نيويورك، إلى الأب جورج هربرت بوش الذي بدأ ولايته بموقف جاد من إسرائيل طالبها خلاله بوقف بناء المستوطنات وأنهاها بوعد تمرير قرض كبير لإسرائيل دون شروط مما أسفر عن نيله فقط 27٪ من أصوات اليهود في الدورة التالية (مقابل 73٪ حصل عليها دوكاكيس) و 15٪ من أصواتهم (لقاء 78٪ نالها بيل كلينتون)، وتعتبر هذه أدنى نسبة يحصل عليها مرشح جمهوري منذ عام . 1964واستمر هذا الموقف مع بدء ترشيح جورج بوش الابن بالنسبة لليهود الذين أعطوه فقط 19٪ من أصواتهم (لقاء 79٪ نالها آل غور الذي لعب ورقة لائحته التي تضمنت لأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية نائباً يهودياً للرئيس) إلا أن الرئيس المرشح تمكن من الفوز بانتخابات مزورة في بعض الولايات وبدعم من أصوات العرب الأمريكيين الذين خذلهم فيما بعد إرضاء للمحافظين الجدد، ليعلن موقفاً جديداً لآل بوش من إسرائيل برز مع وصفه شارون (برجل السلام) أثناء مجزرة "جنين" ومحاصرة "كنيسة المهد" على مرأى ومسمع من العالم أجمع الذي خرج بالمظاهرات يطالب بوقف العنف الإسرائيلي على الفلسطينيين، ناعتاً شارون بالإرهابي الجزار. ومن استمع إلى خطابه الذي ألقاه في نهاية شهر حزيران 2002 الذي لم يستطع معه قادة اليمين الإسرائيلي ـ لدى سماعه ـ إخفاء بهجتهم بتحقيق هذا النصر السياسي الكبير جراء كلمات بوش

ومضمون خطابه، وأعلنوا ذلك بقولهم "حتى شارون لم يكن ليكتب مثل هذا الكلام". وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على دور "اليمين" الأمريكي بتياراته في صياغة القرار السياسي الأمريكي داخلياً وخارجياً.

وكانت إدارة بوش بجهود " المحافظين " الذين يحملون على عاتقهم مهمة تسليح البلاد لمواجهة العالم هذه المرة، قد خططت لإنفاق 2، 1 تريليون دولار على الأغراض العسكرية خلال السنوات القليلة القادمة، الأمر الذي من شأنه أن يخلق عجزاً في الإنفاق المعدل لميزانية 2003 من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا المبلغ المخيف يثير تساؤلاً مرعباً: ماذا سيحل بالعالم على يد أمريكا وأسلحتها، خاصة وأن الميزانية الخرافية الجديدة تعادل ميزانية ثلاثين دولة مهمة وكبيرة في العالم ليثبت قول ريغان : "أننا نتوجه بسرعة كبيرة الآن نحو هرمجودن "Armagedon؛ و قول توماس جيفرسون أن "لأمريكا نهاية تشبه نهاية الإمبراطورية الرومانية" لأنها موجودة دائماً في فوهة البنادق"

مرَّ على هذا الكلام قرنان.. أصبحت بعدهما قاذفات القنابل هي الناطق الرسمي باسم أمريكا وهي السياسة التي تضمن علاقات جيدة مع المحافظين الجدد، وتبلورت هذه العلاقات بدعوة رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو السابق للإعلاميين منهم لدراسة إمكانية الاستفادة من أسلوب تأثيرهم على الرأي العام في مواجهة حملة الديمقراطيين من أجل حقوق الإنسان، طالباً منهم التركيز على اتجاه واحد يصب في "مكافحة الإرهاب" انطلاقاً من

كون نتنياهو أحد أبرز اليمينيين الإسرائيليين الذين يشيعون أن أية محاولة لإقامة دولة فلسطينية هي عمل إرهابي، والدخول في لعبة "مكافحة الإرهاب" التي اخترعتها أمريكا وضغطت على العالم للمصادقة عليها، من شأنه أن يمنحهم تغطية سياسية ودبلوماسية عالمية لتبرير ممارساتهم الوحشية في فلسطين المحتلة على أساس أنهم يحاربون (الإرهاب) الفلسطيني، أسوة بالإدعاء الأمريكي الذي يقول على لسان توماس فريدمان:

"الذين لا يريدون السلام هم أعداء المصالح الأمريكية الحيوية" ومعروف ماذا تعني كلمة العداء لأي شيء أمريكي، وهو ما اختصره بوش بعبارة "إما معنا أو ضدنا" أي أن هؤلاء قد أدرجوا في قائمة "الإرهاب" الأمريكية.

وطبعاً، لم يفوت اليميني الإسرائيلي المتشدد آرييل شارون الفرصة للاستفادة من الحملة الأمريكية على "الإرهاب الإسلامي" إذ ما لبث شارون أن حمل(صفارة بوش) واندفع متوغلاً في المناطق الفلسطينية المحرمة عليه بحجة القضاء على (إرهاب) الحركات الإسلامية التي تناضل لتحرير أراضيها واستعادة حقوقها.

وما يتم في فلسطين المحتلة من قتل وتدمير وتصفيات لجيل وقيادات، ما هو إلا ترجمة لموقف إسرائيلي مفروض على القيادة الأمريكية التي من أشهر عناصرها الأساسية ديك تشيني وهو من غلاة المحافظين في الحزب الجمهوري، والملوث بفضيحة شركة "هاليبورتن" النفطية، ودونالد رامسفيلد وهو ريغاني التوجهات

يريد أمريكا في ذروة جبروتها التي يرى فيها الأمن الحقيقي ويحظى باحترام الديمقراطيين والجمهوريين رغم ما يقال عن طبيعته الاستعلائية، ، و كولن باول المحسوب على الوسط وكوندوليزا رايس التي تعمل بجرأة صامتة، ومهما تعرجت مسارات هؤلاء، إلا أنهم يلتقون دائماً في زاوية مصلحة إسرائيل أينما وكيفما تطلب ذلك، وبالتالي فإن أي صراع داخلي بين هؤلاء أو بينهم وبين جهة خارجية أخرى ليس سوى محطة يواصل بعدها قطار المصالح الأمريكية- الإسرائيلية مسيرته.

وتشير آراء الشخصيات الأمريكية البارزة أن أحد أهم أسباب نجاح هؤلاء المحافظين في مهمتهم أنهم يعملون مع رئيس يفتقر إلى الخبرة في السياسة الخارجية، وذي أفق محدود في السياسة الدولية وسطحية في الخطاب، وكذلك ترى الهيئة الاستشارية اليهودية المتمثلة بنائب وزير الدفاع بول وولفيت ورامسفيلد وريتشارد بيرل وطبعاً تشيني المسيطر على عقل الرئيس وخطواته ومواقفه. وكما قال عنه آرثر شليسنغر (الابن) المساعد الخاص للرئيس كنيدي:

"إنه مؤثر سياسياً وشخصياً، لكنه مجرد من الفضول الفكري والتاريخي، وليس لديه اهتمام بالماضي، واهتمامه محدود بالمستقبل.. إنه يعيش يوماً بيوم".

أما آلان برينكلي(الأستاذ في جامعة كولومبيا) فيقول عنه:

" أنا لا أرى في بوش القدرات التي كان يتمتع بها روزفلت لفرض قيادته: بحيث يكون منفتحاً على نطاق من الأفكار، وأن

يتعامل مع نطاق واسع من الاحتمالات المختلفة في الوقت نفسه، لكن على المدى البعيد، فإن الظروف ستتطلب المزيد من البراعة والقدرة على التعامل مع التعقيدات، وأنا لم أر حتى الآن أية دلائل تشير إلى أن هذا الرئيس (أو حتى إدارته) لديها القدرة على ذلك، وعلى ذلك أظن أن هذا يمكن أن يؤدي إلى تزامن مشؤوم للشخص واللحظة التاريخية.."

أما روبرت ليفن Robert A. Levine فقد كتب في مقال نشرته هيرالد تريبيون بعنوان:" ما الذي يصنع رئيساً قوياً؟ من روزفلت إلى.. بوش" قال فيه:

" لقد عين الرئيس (الجديد) إدارة قوية مؤلفة من نائب للرئيس هو ديك تشيني Dick Cheney وكولن باول Colin Powel وكوندوليزا رايس Cond Leeza Rice ودونالد رامسفيلد Donald Ramsfeld وكارل روف Karl Rove وجميعهم أناس يعرفون ما يريدون وكيف يحصلون عليه، ووهو ما يطرح في أذهاننا السؤال البديهي: الخيار لمن؟ لهذه الآلة(الإدارية)؟ أم لبوش؟ ومن الواضح أنه ليس مهندساً للسياسة كأسلافه من رؤساء فترات الحروب، مثل والده، كما أنه لا يملك رؤية رونالد ريغن الثاقبة... ومنذ أحداث أيلول 2001 فإن الأحداث وحدها هي التي تصنع القرارات، لكن وخلال السنوات الخمس أو الست القادمة، فإن بوش سيوقع قراراً للموت أو الحياة.. فهل سيكون القرار الأول له؟" (9)

9- هيرالد تريبيون 5حزيران 2002

المؤسسات الدينية في الدولة العلمانية..

جاءت أفكار الجماعات اليمينية لتتلاقى مع المصالح اليهودية الصهيونية وتتضافر الجهود للسيطرة على مفاصل الحياة في الولايات المتحدة، وبالتالي في العالم، وهكذا صار الأعداء أصدقاء وصارت الصهيونية هي العقل المدبر في أمريكا والقوة المتنفذة في مصالحها، ولم تثمر كل التحذيرات التي بدأت قبل أن توغل أذرع الأخطبوط اليهودي الصهيوني الحمراء في شرايين الجسد الأمريكي الأبيض. وليس أدل على ذلك من المنظمة التي تحمل اسم "السفارة المسيحية الدولية" التي تقوم بتوظيف النفوذ المعنوي والمادي للكنيسة في سبيل الضغط على أوروبا لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل ودعوة العالم للاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وبذلك اعتبرت هذه المنظمة بمثابة سفارة لرعاية المصالح الإسرائيلية في العالم عبر فروعها التي من أهم مهامها جمع التبرعات لشراء أراض فلسطينية وإقامة مستوطنات لليهود القادمين من أنحاء العالم بسعي من المنظمة نفسها ،كانت آخرها نقل 400أسرة يهودية من الولايات المتحدة وكندا إلى إسرائيل في عملية توطين جديدة بلغت تكاليفها مليوني دولار. وقد انبثقت عن هذه المنظمة مؤسسات كثيرة مثل: "السفارة المسيحية من أجل القدس" التي تتولى مهمة تنفيذ توصية الكتاب المقدس حول عودة اليهود إلى إسرائيل، إضافة إلى مؤسسات إنجيلية أخرى من اليمين المسيحي الأمريكي التي تقوم بالمهام ذاتها

كمؤسسة "الصداقة الدولية بين المسيحيين واليهود" في شيكاغو، و مؤسسة "بناء الهيكل" ومهمتها العمل على بناء (هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى) وهي جميعها مؤسسات تؤمن بأن (إرادة الله) تتمثل بقيام إسرائيل.

والغريب أن الولايات المتحدة التي تعتبر الدولة العلمانية الأولى حسب دستورها الذي ينص على فصل الدين عن الدولة، يوجد فيها ما يقارب 1400مؤسسة دينية تضم 80ألف قسيس إنجيلي، ينتمي أكثرهم إلى المدرسة ذاتها، وهذه المؤسسات تلعب دوراً هاماً وخاصة في المجال الإعلامي القوي بمجرد تعرض إسرائيل لأي مأزق، ولطالما تمكنت آلتها الإعلامية من ترسيخ أدبيات هذه العقيدة حتى استطاعت عبرها فرض تأثيرها ونفوذها على الموقفين الشعبي (جزئياً) والرسمي (كلياً) وكان ذلك يلقى تقديراً كبيراً لدى الإسرائيليين، فقد قال بنيامين نتنياهو، حين كان سفيراً لإسرائيل في الولايات المتحدة عام 1985في خطابه الذي ألقاه في الجمعية العامة للمنظمة الدولية:

"إن كتابات المسيحيين الصهيونيين من الإنجليز والأمريكيين أثرت بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين مثل لويد جورج وآرثر بلفور و ودرو ويلسون في مطلع هذا القرن.. إن حلم اللقاء العظيم أضاء شعلة خيال هؤلاء الرجال الذين لعبوا دوراً رئيسياً في إرساء القواعد الأساسية والدولية لإحياء الدولة اليهودية.."

والغريب أن الدعم الكبير الذي يحظى به قادة إسرائيل اليوم، وخاصة المتشددون منهم، لا يأتي من اليهود الأمريكيين فقط، بل

من المنظمات النافذة "لليمين المسيحي" كما تقول هيلينا كوبان، وهي كاتبة بريطانية متخصصة في شؤون الشرق الأوسط. ولذلك لابد من الإلمام بماهية هذه المنظمات وطبيعتها التي تؤهلها لأن تكون ذات نفوذ قوي تمارسه بفاعلية.

ويبرر قادة اليمين المسيحيين تأييدهم لسياسة شارون بكونه يحارب (الإرهاب) المتمثل بالإسلام والمنظمات الإسلامية التي يكنون لها عداء شديداً من جهة، ومن جهة أخرى، فإن إيمانهم بظهور ثان للمسيح على الأرض يستدعي تجمع الإسرائيليين ليتحولوا جميعاً، حسب رأيهم، إلى مسيحيين.

يقول الصهيوني إينزو ويزمن في مقال نشرته مجلة "من أجل أمن إسرائيل" الناطقة باسم الحركة المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة مذكراً العالم المسيحي أن الدور آت عليهم من المسلمين بعد ما أصاب اليهود" في إشارة إلى المحارق النازية لليهود. "لهذا يجب أن ينضم لنا المسيحيون من أجل القتال لتأمين أمن إسرائيل.. فإسرائيل هي الشعب اليهودي الذي سيستقبل المسيح" ولقد وضح أن "قوى (الشر) تريد تدمير شعب السبت وأن شعب الأحد سوف يكون بعد ذلك".

وقد أوضح الأمريكي تيموثي ويبر أستاذ التاريخ الكنسي وعميد معهد تعليم اللاهوت في نيويورك تفسيره لهذه العلاقة الضبابية حين بيَّن قناعة الإنجيليين الراسخة بأن إسرائيل هي الأرض المقدسة التي ستنتهي فوقها أحداث العالم استعداداً

للمجيء الثاني للمسيح، وبأنهم بتعاونهم مع الشعب اليهودي يطبقون ما جاء في الكتاب المقدس.

وكان جون نيسلون داربي- وهو مفكر إنكليزي عاش في منتصف القرن السابع عشر، أول من فسر الإنجيل على نحو خرج منه بمذهب "التدبير الإلهي" الذي ينص على أن الله قد أعطى اليهود مجموعة من العهود أوصى بها الأنبياء إبراهيم وموسى وداوود عليهم السلام ليكونوا شعبه المختار الموعود بإنشاء دولة المسيح الثانية. هذا التفسير الذي عرف بـ "التدبير الإلهي لشؤون العالم" آمن به البروتستانت إيماناً حرفياً أبعدهم عن مبادئ وتعاليم الدين المسيحي الحقيقي.

وتعمل مؤسسة "الميراث العبري" في الولايات المتحدة على ترسيخ هذا الاتجاه وذلك بتنظيم دورات يدعون فيها المسيحيين للتعبد يوم السبت، لتناول المأكولات اليهودية- الشرعية- لدراسة اللغة العبرية، والاحتفال بالأعياد الدينية اليهودية. أما السفارة المسيحية اليهودية الدولية في القدس والتي تقوم بمهام كثيرة وهامة في هذا الإطار منذ تأسيسها عام 1980وعبر مكاتبها الخمسين المنتشرة في أنحاء العالم، ومن مهامها توطين أكبر عدد ممكن من اليهود في فلسطين بحجة تنفيذ تعليمات الكتاب المقدس والنبوءات التوراتية حول ضرورة إقامة دولة (صهيونية) يظهر فيها المسيح المخلص ، كما أنها معنية كثيراً وخدمة لمهمتها السابقة في إقامة كل العلاقات التي تصب في مصلحة إسرائيل والاعتراف بها وبعاصمتها (القدس). ورغم المحاولات اليائسة

التي تقوم بها بعض الكنائس الإنجيلية الأمريكية التي تعترض على عمليات التهويد والتضليل للمسيحيين المؤمنين التي تمارسها هذه المؤسسات إلا أن الصوت الأعلى في (جوقة) القرار الأمريكي يبقى لهذه الأخيرة، إضافة إلى 250هيئة وجمعية غير يهودية تعمل في أمريكا بناء على تفسيرات صهيونية مماثلة، ومن هنا يفسر الدعم اللامحدود لإسرائيل، ومن هنا تنبع (استثنائية) إسرائيل و (حقها) في الخروج عن طوق الأعراف والقوانين الدولية، ومن المنطلق ذاته صار تأييدها بمثابة عبادة لابد (للمؤمنين) بها من أدائها، وهذا ما يفسر أيضاً عداء اليمين المسيحي للفلسطينيين ورفضهم لإقامة دولة فلسطينية.

ومن الأصوات الداعية لهذا الزحف المشبوه صوت الأب عطا الله حنا، المتحدث الرسمي باسم الكنيسة الأرثوذكسية في القدس، مشيراً إلى أسماء من يحملون أسماء مسيحية وقلوباً يهودية، كما دعا القس رباح أبو العسل زعيم الطائفة الإنجيلية في القدس إلى العودة للنصوص الإنجيلية لاكتشاف أكذوبة أرض الميعاد، وطالب بمساعدة 235مليون مسيحي لوقف العنف في فلسطين.

ولأن الغاية في عرفهم تبرر الوسيلة، فإن اليهود الصهاينة يبيحون لأنفسهم اتباع كل السبل لتحقيق مآربهم متبعين بذلك تعاليم تلمودهم وبروتوكولاتهم الداعية إلى نبذ كل ما هو غير يهودي (غوييم) Goyim وفي ذلك يقول البروتوكول رقم : 11

"إن الحرية السياسية مجرد فكرة وليست حقيقية، لأن

السيطرة على الشعوب تحدث بشكل أسهل عندما تصاب بعدوى الحرية، ولكن هذه الفكرة مستحيلة- وفي الحقيقة- ما ندعو إليه من احترام حقوق الإنسان، أشياء لا يمكن تطبيقها في الحياة العملية"

ولا ندري إن كان توماس فريدمان قد استمد أفكاره حول مفهوم الحرية والديمقراطية من هذه البروتوكولات، فهو القائل أن "إسرائيل هي الاستثناء الذي لا يجوز مسه".

وهو إذ يقول هذا فإنما يحاول إقناع العالم أنه ينطلق من حق الإنسان في الحرية والاختيار، وهو المبدأ الذي تتبناه أمريكا في شعار الديمقراطية المزدوجة الذي ترفعه في وجه الدول المعادية لها وسكوتها عن ذلك للدول الصديقة لها. إن المفهوم الأمريكي للديمقراطية لا يتسع لمبدأ الحرية كونه مشروط مسبقاً بثلاثة: قبول الهيمنة الأمريكية، قبول التعايش مع إسرائيل وسياساتها، وقبول التخلي عن مقاومة الاحتلال. بمعنى آخر: إن الديمقراطية في العالم العربي، بالنسبة لفريدمان، لها مضمون خاص لابد أن يتسع لخصوصية إسرائيل وإلا لن تكون حقيقية.

ويقول البروتوكول رقم :4

"أمر لا مفر منه أن نضعف جميع الديانات، وذلك من خلال امتصاص جميع الأمم في مطاردة فكرة الكسب والربح المادي، وفي صراعها نحو هذا لن تأخذ في حسابها الحذر من عدوها التقليدي، وسوف ينشأ لدى الأمم كره تجاه السياسة العليا والدين.."

أما في البروتوكول رقم(9) فنقرأ:

"لقد أربكنا وأفسدنا شباب الوثنيين المسيحيين، لقد نشأنا على مبادئ ونظريات نعرف جيداً أنها كاذبة ومزيفة، إن النجاح الذي حققناه في هيمنة أفكار نظريات الداروينية والماركسية، كانت ذات أهمية كبيرة في تحطيم عقول المسيحيين الكفرة.."

ورداً على ذلك قال إدوارد هنت، أستاذ علم اللاهوت بجامعة واشنطن: "لقد نجح اليهود في تحويل أعظم أمة مسيحية على وجه الأرض، إلى واحدة من أعظم الأمم الإلحادية المعادية للمسيح في العالم، ولكنه لم يكن فقط خطأ اليهود، إنه خطأ هؤلاء الذين سموا أنفسهم خطأ بالمسيحيين"[10]

ومع ذلك لا ينفك اليهود يبذلون كل الجهود في سبيل تحقيق ذلك الهدف، وما نجاحهم في عقد ائتلاف بين الكاثوليكية والبروتستانتية في الولايات المتحدة إلا خطوة متقدمة جداً بعد سعي دؤوب دام مئات السنين، وإن كان بعض المسيحيين المتشددين في الولايات المتحدة يرون في طموح هؤلاء اليهود تدميراً للكنيسة الكاثوليكي وما يدعونه انتصاراً ما هو إلا رفض لحركة الإصلاح الديني التي تضررت منهم دينياً وسياسياً، وانتصار لأصحاب التلمود الذين بتوحيدهم للجماعتين المتعارضتين لليهودية واتجاهاتها السياسية استطاعوا تحويل العداء المسيحي نحو الإسلام.

لقد كان نقل السفارة الأمريكية- على سبيل المثال- بقرار من

10- مجلة الأهرام العربي العدد 267- . 2002

الكونغرس تحت ضغط اليمين المسيحي الأمريكي، وكذلك اعتبار القدس عاصمة إسرائيل الأبدية، وليست مواقف الرئيس بوش الابن تجاه ما يجري في فلسطين المحتلة وفي منطقة الشرق الوسط بشكل عام سوى تجسيد لهذا الضغط المسيحي اليميني الفاعل في أمريكا رغم أنه لا يمثل جميع المسيحيين، إذ ليسوا جميعاً أنجيليين وليسوا جميعاً صهاينة، إلا أن الفعل العربي القاصر في الاتصال بهؤلاء المؤيدين للقضايا العربية أفسح المجال للوبي الصهيوني لترسيخ العلاقة وتوطيد الروابط مع اليمين المسيحي الفاعل وآلته الإعلامية ونفوذه القوي في مواقع صناعة القرار الأمريكي، الأمر الذي يؤكد الأرضية السياسية لهذا التعاون والتي يلبسونها لباس الدين، مع أنهم يدينون (الآخر) لأنه يقوم بما يقوم باسم الدين ويحاولون دق إسفين قوي لفصل المسيحية عن الإسلام لأنهما الديانتان الأكثر أهمية وشعبية في العالم مع تكاثر عدد المنتمين إليهما ، ومن تلك الطرق كانت خدعة "حوار الحضارات" بعيداً عن التطرف في تقسيم العالم إلى أبيض (شرير) وأسود (ضحية) ، هذه السياسة العقيمة التي ينادي بها اليمين في كل مكان من العالم.

إن تحكم هؤلاء المتشددين في دفة الحكم الأمريكي قد نزل بأمريكا (النموذج) إلى الحضيض، فقد خسرت مصداقيتها على كافة الصعد، ولم تعد مصدر الأخبار والمعلومات الصادقة والدقيقة، إضافة إلى سقوطها كنموذج لصرح الحضارة الذي حاول العالم كافة أن يحذو حذوه قبل أن يفقد معنى الحرية الحقيقية

والديمقراطية التي تروج لها، وليس آخر ما فقدته كنموذج للسياسة الاقتصادية إثر فشلها في إيجاد حلول لأزماتها الاقتصادية المختلفة من جهة، والفضائح المالية التي تعرضت لها معظم الشركات الكبرى فيها أمثال: كزيروكس (7مليارات) وآرثر أندرسون ، وأنرون التي اقتربت خسائرهم من المليارات بل التريليونات و شركة مونديال (غلوبال) كروسنغ = 26مليار، أما وورلد كوم، وهي الشركة التي مولت حملة جورج بوش الابن الانتخابية، فقد أشهرت إفلاسها وتسببت للمساهمين بخسارة 60 مليار دولار، الأمر الذي أدى بالطبع إلى التأثير على قيمة الدولار وموقعه أمام اليورو والاسترليني، ويؤكد المستثمرون المنكوبون مالياً أن الفساد السياسي طال البنية الاقتصادية الأمريكية كما جميع البنى الاجتماعية والثقافية وحتى الدينية رغم علمانيتها الظاهرية. ورغم محاولة الرئيس الأمريكي لرتق الثوب المهترئ في حكومته بالتوقيع على قانون لزيادة الرقابة على الشركات وأدائها، إلا أنه يدرك مدى انغماس أصابع حكومته في هذه الطبخة الفاسدة ويدرك تماماً من هم أعضاء حكومته الذين سارع إلى توظيفهم مختاراً لبعضهم، ومرغماً مع البعض الآخر.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هؤلاء المتشددين يركزون جهودهم كذلك على الحياة الثقافية والإعلامية في البلاد انطلاقاً من كونهم من المثقفين والأكاديميين ذوي التأثير القوي ثقافياً وسياسياً والقادرين على إدارة الآلة الإعلامية وفق ما تتطلبه

آراؤهم ومعتقداتهم مما مكنهم ، وعبر جميع أدواتهم، إضافة إلى المراكز التي استطاعوا أن يشغلوها ، أن يؤثروا في قرارات الإدارة الأمريكي، كذلك في تفكير الشعب الأمريكي وتوجيه الرأي العام حسبما يرغبون (بالرغم من تحذير فريدمان الصريح لشعبه أن: لا تصدقوا استطلاعات الرأي..) ، ولعل تركيزهم على النواحي التي سبق ذكرها هو مالا يجعلهم يتوقفون كثيراً عند مسألة الهجرة وتداعياتها من الأزمات الاجتماعية المختلفة التي تقوم على مناهضتها سياسة اليمين الأوروبي كما سنرى لاحقاً، باستثناء القليلين مثل بوكانان وطروحاته حول الأجانب. أما المسائل الأخرى التي تشغل اهتمام المحافظين فقد اختلفت من فترة رئاسية لأخرى ومن رئيس لآخر ، فهم كانوا مع ريغان يعارضون أفكاراً وممارسات اختلفت عن تلك التي كانت تشغل محافظي عهد كلينتون وبوش الابن ويتجلى هذا الاختلاف في اختلاف معالجاتهم للمواضيع التي تشغل الرأي العام الأمريكي سياسياً واجتماعياً وفكرياً، وكيفية تعاطيهم معها، إذ إضافة إلى ما ذكر من الانقسامات، نجد في أمريكا ميليشيات مسلحة يمينية تشكل خطراً اجتماعياً رغم سوء تنظيمها لأنها قائمة على نزعة عنصرية لم تفلح ديمقراطية أمريكا في السيطرة عليها ، من هؤلاء ديفيد ديوك ذي الميول النازية والذي أحرز ثلث أصوات ولاية لوريزيانا ، لكنه لم يصل إلى ما يريد. و بات بوكانان الذي نحا ،كما أسلفنا ، أقصى اليمين في آرائه حول السود والأجانب.

أما محافظو أمريكا الجدد (جداً) فإنهم يصبون اهتمامهم على

السياسة والاقتصاد ولذلك توصلوا إلى الجلوس على أكثر مقاعد قاعة القرار الأمريكي راحة وتحركاً، فهم يصوغون القرارات التي تحقق طموحاتهم وأفكارهم كالتأييد المطلق لإسرائيل لأن ولاءهم المطلق لإسرائيل وليس لأمريكا رغم أمريكيتهم انطلاقاً من إيمانهم بالنبوءة المزعومة التي ستوليهم عرش العالم بعد معركة "هرمجدون" التي يحضرون لها بالإبقاء على الولايات المتحدة كأقوى دولة في العالم، ومنها كانت خدعة الحرب الوقائية وبالتالي إعادة رسم خارطة المنطقة، ومن أجل هذا كله لابد من إضعاف جميع المؤسسات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة. ومن هؤلاء الصقور:

- بول وولفيتز: والذي شغل منصب نائب وزير الدفاع منذ بدايات 2001، يحمل دكتوراه في العلوم السياسية، وهو يهودي بارز يملك أفكاراً جريئة، وصاحب فكرة الضربة الوقائية، ومن أهم مؤيدي سياسة إسرائيل في القضاء على الإرهاب، شغل أهم المناصب في الإدارة الأمريكية على مدى ثلاثين عاماً، وأهم أعماله تشكيل حكومة داخلية استخباراتية مهمتها بث الأخبار والمعلومات الكاذبة والملفقة.

- ريتشارد بيرل: أحد أعضاء المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، وكان كل عمله ينصب في خدمة إسرائيل مستغلاً منصبه ومعارفه وعلاقاته في ذلك.. يحمل شهادة ماجستير في العلوم السياسية أيضاً، ولم يشغله عمله السياسي عن عمله الخاص في العديد من الشركات، صاحب فكرة الضغط على المملكة العربية

السعودية ووضع اليد على نفطها لتأييدها (الإرهاب) كما يقول. كما دعا إلى استهداف الأماكن المقدسة فيها، كل ذلك قاله بلسان لوران مورافيتش مما مكنه من التهرب منه حين اضطر لتبرير ما قيل على لسانه لوزير الخارجية السعودي، ثم تبين بعد ذلك أنه التقى شخصيات سعودية بارزة كالخاشقجي طالباً منهم المساهمة في أعمال إحدى شركاته، واستقال بعد أن أعلنت الشركة التي يعمل معها تجارياً (غلوبال كروسنغ) إفلاسها. إلا أن أسوأ ما تعرض له هو ما كشف ولاءه الأوحد لإسرائيل حيث ضبط أثناء عرضه لوثائق عن القواعد السعودية على أحد الوفود الإسرائيلية، على حساب كل شيء.

- مايكل ليدين: من أهم مسؤولي إدارة الرئيس ريغان، يدعي أنه يشكل مرجعاً في الاستخبارات والتاريخ مؤكداً أنه صاغ سياسة أمريكا الخارجية التي تصب في مصلحة إسرائيل حتماً. حارب السعودية واتهمها بحماية الإرهاب والترويج للجهاد. ومن أفكاره المتشددة أن "العنف" و"الحرب الشاملة" هما الوسيلة للفوز بمجتمع ذي توجهات ثقافية جديدة ومختلفة.

- روبرت كاغان رئيس تحرير WEEKLY STANDARDاليمينية، وصاحب كتاب "الجنة والسلطة: أمريكا وأوروبا في النظام العالمي الجديد" ويجدر الذكر أن بدايته كانت (ديمقراطية) إلا أنه تحول إلى صفوف المحافظين الجدد، وتختص كتاباته في الشؤون العسكرية التي يطالب من خلالها برفع ميزانية الدفاع.

– ستيفن براين: وهو لا يقل عن سابقيه ولاء لإسرائيل، إن لم يكن يسبقهم. شغل منصب المدير التنفيذي للمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي عام 1979 حيث دعا باستمرار لزيادة الدعم العسكري لإسرائيل. يعمل في التجارة ويمول شركة لصناعة الدبابات في إسرائيل، ورغم جنسيته الأمريكية إلا أنه يتحدث عن إسرائيل بقوله (نحن)، وحين يتحدث عن أمريكا يقول (هم)؟

– أرفنغ كريستول: صهيوني ومتطرف من مواليد 1920، عمل في الحقل الإعلامي منذ عام 1947، وتناوب على إدارة ورئاسة تحرير عدة مجلات مثل: "كومنتري" و "انكتاونتر" و"المصلحة العامة" ثم "المصلحة القومية" و أخيراً "وول ستريت جورنال". أما ابنه وليام فيدعونه :"ولي عهد عصابة المحافظين الجدد" ويطالب بتحرير الشرق الأوسط كله.

– فرانك غافني: أحد أهم أعضاء المحافظين الجدد (مع أنه يعتبر نفسه واقعياً وليس محافظاً)، يرأس مركز سياسة الأمن وهو مديره التنفيذي، شغل منصب نائب وزير الدفاع للأمن القومي، ويظهر تأييده الصريح لإسرائيل في "واشنطن تايمز" و "أخبار الدفاع" وغيرهما.

– ميراف ورمزر: المرأة التي ساهمت في صياغة "الانفصام التام" لنتنياهو وفي تأسيس معهد أبحاث الشرق الأوسط مع (إيغال كارمون) وتشغل الآن منصب مديرة مركز دراسات الشرق الأوسط في معهد هدسون، إضافة إلى كونها تتمتع بالحسن والذكاء، فهي إسرائيلية حتى العظم، بل وليكودية مناهضة

للسلام، انتقدت الكتب في المدارس العربية مدعية أنها معادية للسامية.

أما على الصعيد الإعلامي فإن توماس فريدمان يعد من أشهر الإعلاميين الذين يحملون لواء إسرائيل عالياً وإن كان يبدو كليبرالياً أصيلاً إلا أنه لا يتواني عن التصريح بأن "إسرائيل هي الاستثناء الذي لا يجوز مسه". كما إن الديمقراطية في العالم العربي، بالنسبة لفريدمان، لها مضمون خاص لابد أن يتسع لخصوصية إسرائيل وإلا لن تكون حقيقية. ولهذا فإنه حين ينتقد رئيسه أو عناصر إدارته فهو يفعل هذا من منطلق غيرته على مصلحة إسرائيل أولاً وأخيراً ثم أمريكا التي يرى أن من مصلحتها حل أزماتها مع العالم بما يتناسب ومصلحة إسرائيل أولاً، لذلك قال:

" لو كنت مكان (فريق) بوش، وجعلت من الإطاحة بصدام وإعادة إعمار العراق هدفاً لي منذ استلمت عملي، لما كنت أغضبت كل أوروبا عن طريق رمي معاهدة كيوتو حول ارتفاع درجة حرارة الأرض في سلة المهملات دون أن أقدم بديلاً لها من جانبي. ولما كنت أثير حنق كل القيادة الأمنية الوطنية في روسيا عن طريق تمزيق معاهدة الحد من التسلح وإخبار الروس بأن عليهم أن يتكيفوا للواقع الجديد (فما نراه منهم اليوم هو ردهم الثأري على تلك الخطوة) ولما كنت اقترحت خفضاً جوهرياً في الضرائب عشية إقدام إدارتي على مشروع ضخم ومكلف يتعهد ببناء الدول في الخارج. إنما كنت سأعبئ الأمة لحملة حقيقية في المحافظة على

الطاقة، وأقترح مشروعاً للطاقة البديلة، لكي لا أجد نفسي عشية إعلان الحرب بمواجهة سعر للنفط يبلغ 2و25 دولار/ للغالون الواحد يعود بالدرجة الأولى إلى استنزاف قدرات أوبك. ولكنت سأقول للفلسطينيين أننا لن نتعامل معهم إلا بعد أن يوقفوا الهجمات الانتحارية ويختاروا زعامة أكثر جدية" ثم يقول: ".. ولكنت سأقول للعرب: لن نقف مكتوفي الأيدي عندما تتسامحون مع المتطرفين الموجودين في أوساطكم والذين يهددون ديمقراطيتنا". (11)

ومايزال فريدمان يصر أن الذين يهددون ديمقراطية وأمن الولايات المتحدة هم المتطرفون الموجودون خارج أمريكا، في حين أن أكثر من يهدد ديمقراطية وأمن واستقرار الولايات المتحدة هم المسيحيون الصهاينة أو المحافظون الجدد أو (عصابة إسرائيل، كما أسمتهم صحيفة الحياة) الذين يثيرون حفيظة ضحاياهم في العالم للتعبير عن رفضهم للسياسة الأمريكية الموجهة انطلاقاً مما يقع عليهم من الظلم وليس من حقدهم وغيرتهم وهو ما اعترف به مؤخراً مارك هيرتز غارد Mark Hertsgard في كتابه ظل النسر (The Eagle's Shadow) الذي بين أن القوة العسكرية الأمريكية ليست مصدر حسد الآخرين بقدر ما هي مصدر معاناتهم) ومع ذلك لا يقدم حلاً ولاحتى اقتراحاً كالذي قدمه باتريك سيل بقوله:

" ينبغي أن يقال للولايات المتحدة إن ما يقولوه عقلاء أمريكا

11- نيويورك تايمز والعرب اليوم (4آذار 2003) مقال بعنوان: مقامرة بوش الكبرى.

والمعتدلون فيها ، وإن كانوا يهدفون أولاً وأخيراً لمصلحة أمريكا وحدها ، إنما يضمن للعالم من حولها أمناً واستقراراً من شأنه أن ينعكس عليها في كل الحالات، ولذلك على أمريكا لكي تنجو من الرمال المتحركة التي وقعت فيها ، أن تقوم فعلاً بالدور الذي تدعي القيام به،وهو حمامة السلام المسالمة التي تسعى فعلاً لنشر العدل ، والمساواة ، والحرية، حرية جميع الشعوب على أراضيهم لا حريتها هي على أراضي الشعوب، كما أن تعاونها مع الجهات الرسمية الدولية المعترف بها اعتراف منها بحقوق الآخرين واحترام منها لدور الجميع ومصالحهم، آخذة بعين الاعتبار أن هناك أقطاباً أخرى تلوح في الأفق الذي سيتسع لها قريباً.. وقد تمتد هذه الـ "قريباً" عقداً أو عقدين وربما أكثر.. إلا أن هذا "المدى الزمني" لا يعتبر طويلاً بمقياس التاريخ.

وعليه، مازال أمام أمريكا فرصة لتستأصل الكراهية والحقد من قلوب من سار قطارها إليهم على سكة العنف والظلم والاستبداد ، وإلا..؟ فإن أمريكا بذلك تزيد في سرعة القطار الأمريكي إلى محطته الأخيرة التي سيصلها خالياً من أية حمولة سعى إليها في رحلته عبر التاريخ والجغرافيا. وسوف ينتهي إلى كارثة محتمة كما أشار إلى ذلك باتريك سيل.(-) وكما جاء في رسالة جهاد الخازن إلى الرئيس الأمريكي عبر "عيون وآذان" جريدة "الحياة" إذ قال:

" ثمة موضوعان، أو قضيتان بيني وبينك هما فلسطين والعراق، وقد وقعت في الثانية قبل أن تحل مشكلة الأولى لأن

الذين أوقعوك من المحافظين الجدد ، وهم عملاء لإسرائيل بالكامل، نفذوا مكيدة صهيونية قديمة، فهم أمام كل مشكلة قديمة لايريدون حلها يخلقون مشكلة أكبر، فيصبح الجهد منصباً على المشكلة الجديدة ولا تحل المشكلة الأصلية. وهكذا فمن احتلال ثلاثة أرباع فلسطين إلى احتلالها كلها ، واحتلال أراض عربية أخرى، وقد مضى على الاحتلال الأصلي 55 سنة ولا تزال دون حل." ويتابع قائلاً في الرسالة ذاتها:

"لا ألومك شخصياً إلا من ناحية ترك السياسة الخارجية للدولة العظمى الوحيدة الباقية في العالم بين أيدي قطاع الطريق من أنصار إسرائيل الذين فتحوا باب الشر على مصراعيه في الشرق الأوسط وعرضوا كل مصلحة أمريكية لخطر كبير، فقط لخدمة إسرائيل، دولة الجريمة النازية الجديدة... أعتقد أنكم تواجهون اليوم في العراق ما واجه السوفيات في أفغانستان قبل عقدين، وأرجو أن تكون عندكم الحكمة والجرأة لاستباق الكارثة بتغيير السياسة المدمرة التي وضعها المحافظون الجدد لخدمة إسرائيل".

الميليشيات البيضاء..

في الحقيقة لايمكننا أن نضع البيض كله في سلة واحدة، إذ لا تخلو المؤسسات الأمريكية من الذين يرغبون بالعيش الآمن المستقر من جهة، والذين ضاقوا ذرعاً بالسيطرة اليهودية على بلادهم من جهة أخرى، لكنهم لا يملكون سوى الإذعان لتهديد ثلة من اليهود المتصهينين أو الأمريكيين المتهودين والمتشددين الذين

يحتفظون لكل مخالف لأوامرهم ومصالحهم وعقيدتهم بكل أنواع التهم بما فيها المالية والأخلاقية وحتى الدينية التي تصل حد التكفير بطريقة أو بأخرى، حتى أن تهمة معاداة السامية أصبحت من البشاعة التي يخاف معها أي عضو في الكونغرس من الاعتراض على أي قرار له علاقة بمصلحة إسرائيل.

ولا تكتفي إسرائيل من أساليب الضغط لديها بالوسائل الإعلامية والاقتصادية التي يتحكم فيها داخل أمريكا اللوبي الصهيوني وأعوانه من المسيحيين المتصهينين، بل إنها قد شكلت في أمريكا شبكة تجسس للحصول على أسرار الدولة العظمى لصالح بلادها. ويعتبر الجاسوس الإسرائيلي جوناثان بولارد الأمريكي من أبطال هذه الشبكة الذي قيل أنه نجح فيما لم ينجح فيه الاتحاد السوفييتي خلال فترة الحرب الباردة حسبما ذكر غولدن توماس في كتابه "بذور النار"، الأمر الذي لم يعد يستطيع معه العاملون في البنتاغون رفض أي طلب لإسرائيل بالتسلح بعد أن كان الرفض متاحاً ولو لفترة ، لأن القائمين على القرار في البنتاغون هم من مناصري إسرائيل بعد أن صار أتباع الأخيرة على دراية بالأرقام السرية للأسلحة الإلكترونية كما أشار السيناتور بول فندلي في كتابه "من يجرؤ على الكلام؟".

إلا أن هناك دائماً من يجرؤ ليس على الكلام فحسب، بل وعلى الفعل أيضاً. ومن رحم هذه القاعدة خرجت الميليشيات البيضاء المتطرفة في معارضتها للحكومة الأمريكية وفي

عدائها لليهود والملونين على السواء، والتي حملت صفة النازية الجديدة، إذ يدعو أتباعها إلى " نقاء وتفوق الجنس الآري".

وتعود بدايات هذه الحركة إلى ما قبل الحرب الأهلية الأمريكية بل إنها هي التي أشعلت جذوة الحرب، إلا أن الرخاء الاقتصادي الذي عاشه المواطن الأمريكي جعل هؤلاء يتوجهون بأفكارهم خارج بلادهم. بينما يُرجع موريس ديز في كتابه "الميليشيات الأمريكية" بذور العنصرية التي قامت بسببها الحرب الأهلية الأمريكية إلى الثمانينيات فقط ولم يأت على ذكر أعمال الشغب التي قامت في العشرينيات بذريعة أنها لا تندرج في قائمة أعمال العنف، حيث بدأ تاريخ هذه الحركة مع العنف - كما يقول - عام 1981 حين بدأ عناصرها الذي كان عددهم قد بلغ 2500 من المسلحين يتحرشون بالملونين في خليج غالفستون انطلاقاً من نظرتهم الفوقية والعنصرية. كما ساروا وراء زعيمهم (لويس بيم) ليهتفوا ضد الحكومة الفيدرالية. وبدأت منذ ذلك الحين عملية تنظيم مدروسة للحركة التي أعلنت مبادئها ضمن كتاب أعده وليام بيرس على شكل رواية تتحدث عن تفجير مقر أمريكي كبير في بداية ثورة "الجنس الآري" التي تنتهي بحرب إبادة ضد الحكومة والملونين. ويرى بيرس أن هذه الحركة تعبر عن وجهة نظر الشعب الأمريكي ورفضه القاطع لسيطرة اليهود على الحكومة ومراعاة هذه الأخيرة لمصالح اليهود على حسابه. كما يؤمن الكاتب بالعنف وسيلة وحيدة للخلاص من الحكومة والملونين واليهود.

وعلى هذا فالحركة تعد نفسها لأي صدام محتمل قريب مع الحكومة فتتسلح وتنظم نفسها وتجري التحالفات اللازمة التي تؤمن معها أن أعضاءها ومؤيديها هم شعب الله المختار وليس اليهود الذين يدعونهم بـ "أبناء الشيطان" وعمل هذا التنظيم على تجنب المواجهة المبكرة مع الحكومة، ولذلك يحاول عدم إظهار قدراته العسكرية، ويركز جهوده على استثارة الرأي العام عبر تضخيم الأزمات التي تلعب الحكومة دوراً فيها، وبهذا استطاع التنظيم أن يطرح أفكاره السياسية عبر الصحف الخاصة التي أصدرها مثل صحيفة "المواجهة" التي كانت تنشر أخباراً تفيد بأن " أعمال عنف دامية ستقع في أرجاء البلاد وأن صراعاً عرقياً سيدور بين الأجناس ينتهي بانتصار العرق الآري وهلاك الآخرين"، وأن "الميليشيات الأمريكية ستجعل النظام العالمي الجديد ومن ورائه يدفع الثمن لكل شبر يسيطر عليه في أمريكا لأنها ستفرغ حقدها وكراهيتها للحكومة الفيدرالية والغرباء في أمريكا التي تقف على مفترق طرق خطير".

وجاء في خطبة زعيمهم لويس بيم التي ألقاها بتاريخ 23/10/1992:

"من الضروري التصدي للحكومة الأمريكية التي تقمع الشعب الأمريكي وتقتل أبناءه.. فهذه الحكومة الفاسدة قاتلة، وكاذبة، لذلك فإني أناشد الشعب الأمريكي أن يتخذ خيار الحرية أو الموت"

ويذكر الحركيين في هذا التنظيم المدعو غوردون كاهل الذي

يعتبرونه أول الشهداء في حركتهم والذي حوصر من قبل 100 شرطي وقتل دون أن يستسلم. في حين كانت المواجهة الفعلية الأولى للحركة عام 1991إثر مقتل زوجة أحد أعضائه على يد الشرطة عقب محاصرتها مع زوجها وأولادهما في الكوخ الذي يملكونه في ولاية إيداهو حيث كان يخفي كمية كبيرة من السلاح لاستعماله عند الاصطدام مع الحكومة التي كانوا يسمونها "عميلة الصهيونية" واستمرت المواجهة من 21إلى 23آب 1991ليتحول مقتل زوجة هذا العنصر إلى قضية استغلها المتطرفون كدليل على عداء الحكومة لهم.

ويعتبر عداء هذه الحركة للحكومة الفيدرالية والصهيونية من أوائل ثوابتهم وتأتي بعد ذلك فكرة "النقاء العرقي" وضرورة الخلاص من الملونين، ويرون في العنف الوسيلة الناجعة لتطبيق أفكارهم. ويمتاز بهذه الرؤية منهم أصحاب التيار المتطرف والذي يتفرع منه حركة الوطنيين المسيحيين، وحزب الشعب بقيادة الجنرال بوجريتش الذي اشترك في حرب فيتنام ورشح للرئاسة عام 1088، وتنظيم الهوية بقيادة ويليام جال وكذلك الحزب الوطني الأبيض الذي يموله روبرت دي بون، وأخيراً جماعة حليقي الرؤوس. بينما نرى التيار المعتدل لهذه الحركة بقيادة جون بيرش الذي لم يشارك في أي أعمال عنف قامت بها الحركة.

وتتركز الرؤية الفكرية لهذه الحركات والتي أسس مبادئها راندي ويفر تحت اسم "الأمم الآرية البيضاء" حول فكرة أساسية تقول أن " أمريكا هي أورشليم التي ذكرها الرب في العهد

القديم الذي نزل على المسيحيين الأول، ولهذا يفترض ألا يحمل غير المواطن الأمريكي الأبيض الأصلي هذا الاسم، وفي حال تعذر الانفراد بالذات البيضاء بعيداً عن الملونين الغربا ء، فمن الأفضل الانعزال عنهم مكانياً باللجوء إلى الجبال إلى حين التخلص ممن يشوهون العرق الأمريكي قبل أن يفكروا بتشكيل مكان (دولة) خاص بهم في أي مكان من البلاد ما قد يؤدي إلى غياب السيادة الأمريكية عنها.

مما سبق يمكن الاستنتاج أن الليبرالية الأمريكية المزعومة لا تحمل المعنى الحقيقي لها وخير دليل على ذلك أن النزعة العنصرية مازالت قائمة وبقوة تكاد تهدد الأمن الأمريكي الداخلي الذي لم تستطع الديمقراطية والليبرالية الأمريكية أن تدرء الخطر عنه، وهو ما يعني أيضاً أن مثل هذه النزعات وغيرها التي تتبع العنف وسيلة لتحقيق أهدافها، قادرة على خرق القوانين وبالتالي التأثير على الاقتصاد، الأمر الذي دعا الحكومة الأمريكية باستمرار لإيجاد عدو خارجي تحاربه لتجمّع باسم محاربته الجهود والقوى الداخلية، وتبرر فشل سياستها الداخلية، ولذلك كان لابد من خلق عدو جديد بعد القضاء على الشيوعية، فكان "الإسلام".

وإذا كانت جميع المؤشرات تقول أن هذه الإمبراطورية آيلة إلى الزوال، فلا ندري إذا ما كانت ستجد فرصة جديدة لإيجاد عدو آخر، خاصة وأنها ما تزال تركز كل جهودها وتصب جام غضبها على العدو الخارجي وتتناسى جماعات الضغط المختلفة التي تنخر في جسدها بكل ما أوتيت هذه الجماعات من أدوات

الضغط الإعلامية والعنفية والاقتصادية وغير ذلك، ولا يمكن للأمريكيين أن ينسوا أن انفجار اوكلاهوما والذي اتهمت فيه جماعات إسلامية كان من صنع المليشيات البيضاء التي أرادت من هذا التفجير أن توصل رسالة مفادها أنها لن تتوانى عن استعمال أية وسيلة تحقق غرضها.

اليمين في أوروبا

لم تكن ردة الفعل الأوروبية والمتمثلة بالمظاهرات الاحتجاجية الرافضة للعولمة التي عملت الولايات المتحدة على فرضها على العالم بطريقة أو بأخرى، لم تكن سوى واحدة من إرهاصات عودة التيار (اليميني المتطرف) إلى مسرح الأحداث في أوروبا، ومع أن هذه العودة كانت متوقعة، إلا أن عودته جاءت أقوى مما كان متوقعاً، وأشد تأثيراً في الشارع الأوروبي، ربما لأنها انطلقت من شعارات تمس مصلحة الأوروبيين الاقتصادية والاجتماعية بعد ازدياد نسبة البطالة وانتشار الرشوة واستغلال النفوذ السياسي، والفساد على المستويين الأخلاقي والاقتصادي. فقد حتّم الزحف الأمريكي على الدول الأوروبية و صعود نجم (نمور آسيا) تشكّلَ منظومةٍ (الاتحاد الأوروبي) من شأنها مواجهة الخطر الداهم الذي يتربص بالهوية الأوروبية والثقافة الأوروبية والاقتصاد الأوروبي. وقد صعدت الحركات اليمينية المتطرفة في أوروبا سلم القرار السياسي بالاعتماد على طرح نفسها كبديل للأحزاب التقليدية التي تناوبت على الحكم في أوروبا خلال نصف قرن دون أن تحقق لشعوبها ما كانت ترجوه منها من الازدهار والرفاهية والاستقرار،

فلعبت هذه الحركات دور"الخيار الثالث" المختلف عن الخيار الأول المتمثل بالجمهوريين المحافظين والخيار الثاني المتمثل بالديمقراطيين، فكان أن وجدت لدى الشعوب ترحيباً كبيراً بعد خيبتها بالخيارين الأول والثاني الذين وصلا بها إلى قمة الأزمات الاقتصادية وفضائح الفساد التي طالت جميع القطاعات لصالح فئة صغيرة تتحكم بالنفوذ المالي والبورصة وكل ما من شأنه أن يوسع الهوة بين فئات الشعب.

ولا تختلف منطلقات وآليات اليمين المتطرف في أوروبا كثيراً عن مثيلاتها في أمريكا، ففي حين تركز حركة الميليشيات البيضاء ومثيلاتها في أمريكا جهودها على مناهضة برنامج الصهيونية- المسيحية الذي يقوم على فكرة دينية تخدم في تحقيقها المصالح الإسرائيلية التي تتلاقى في معظم جوانبها مع المصالح الأمريكية للحكومة القائمة معتمدة عولمة اقتصادها وثقافتها آلية ضغط، وقوتها العسكرية وسيلة لتحقيق(النبوءة)، بينما تقوم الحركات اليمينية الأوروبية على فكرة مختلفة عنها بما يخص هذا الجانب، فهذه ليست لديها نبوءة تحارب من يعمل على تحقيقها ولو على حساب شعوب العالم الأخرى للسيطرة عليها، ويلتقي (اليمين المتطرف الأوروبي) مع (الميليشيات البيضاء) في أمريكا بتبني الفكرة العنصرية القائمة على نقاء العرق والتعصب الشديد له، فاليمين المتطرف الأوروبي يريد الانكماش على نفسه وعزل حدوده عن الآخرين وحتى عن أوروبا ذاتها بحجة استعادة الهوية الوطنية لكل دولة بعدما ساد

الاعتقاد أن ذوبانها في الاتحاد الأوروبي، قد أفقدها خصوصيتها، وأن تهديدات أخرى ناجمة عن ذوبان الحدود بين دول أوروبية وأسباب أخرى مثل مرونة قوانين الهجرة فيها التي أدت إلى انتشار البطالة والجريمة وأثرت سلباً على الصناعات المحلية. و رغم الضرورة التي أوجبت قيام الاتحاد الأوروبي لمواجهة عولمة أمريكا واشتداد عود (نمور آسيا)، فإن الدعوة للخروج من هذا الاتحاد والاستقلال عنه كانت مطلب هذه الحركات، وكانت من أولويات جان ماري لوبان اليميني الفرنسي المتطرف حيث أكد أن أول مهامه (لو أنه فاز) ستكون استرجاع فرنسا من الاتحاد الذي أفقدها هويتها وثقافتها وقيمة الفرنك فيها، وعلى هذا، يبدو أن أهم السمات المشتركة للأحزاب اليمينية المتطرفة هو دعوتها للحفاظ على الهوية الوطنية لكل من دولها على حدا، رغم ما يشكله هذا الاتجاه من خطر عدم القدرة على مواجهة أمريكا وضغوطاتها المختلفة الأشكال. لقد جاءت الحركات اليمينية لتحل ، كما قلنا، محل الأنظمة الأخرى التي كان الظن أن عودتها نهائية لتثبت أن التغيير قائم مادامت الحياة قائمة، وكما لن تبقى أمريكا هي المآل بأفكارها ورؤاها وسياساتها، كذلك لن تبقى أوروبا، ولا أية منطقة في العالم، على حالها، وطالما أن لكل فكر إرهاصاته التي تلقي بظلالها على الشعوب والأنظمة، وتحتم تغيير مصائرها.

تندرج هذه الفكرة في إطار نظرية "الاستقراء التاريخي" وتحديداً ما يختص منها بإمكانية عودة أي فكر للظهور بعد حين

من الزمن، وخاصة الأفكار القابلة للتطبيق في زمن عودتها لتوفر التربة الخصبة لتلك العودة. وعلى هذا ندرك مبررات عودة الفاشية إلى روسيا التي يعمها الغضب العارم ضد أمريكا والتدخل اليهودي فيها ، وكذلك عودة النازية إلى بعض دول أوروبا التي صارت تجد في قومياتها الماضية القشة التي يتعلق بها الغريق، والتي تجد هذه الدول نفسها معها مضطرة إلى تخفيف حمولتها ممن هم لا ينتمون إلى دائرة قوميتهم، وبالتالي لابد من التخلص منهم ومحاربة تواجدهم على أراضيها التي لم تعد تستوعب أي خليط يؤثر في "نقاء" عرقهم أو "قوميتهم". وها هو الشارع في النمسا ينتصر لهايدر وأفكاره، الذي يشبهه اليهود بهتلر لعدائه للأجانب واليهود الذي يذكرهم بعداء هتلر لهم، في الوقت الذي تلتقي بعض الجماعات الألمانية على فكرة تأليه هتلر واتخاذه نموذجاً في كرهها للأجانب ومحاربتها لهم، ومنهم حليقي الرؤوس الذين انتشروا في أنحاء كثيرة من وروبا " وقد قامت هذه الجماعات تأكيداً على ولائها لهتلر بالعديد من الاعتداءات المنظمة على اليهود والملونين في أوروبا كما حصل في أواخر الثلاثينيات وما سمي حينها بليلة الكريستال. ولم تنج أمريكا نفسها من هذا الانبعاث للروح العنصرية التي ترفع جماعتها شعار "أمريكا للأمريكيين" وقد استطاعت هذه الحركات أن تجد لنفسها موطئ قدم بالاستفادة من التجربة الليبرالية التي يعيشها الغرب، وإن كانت تتعامل بحذر في موضوع الكشف عن نفسها ونواياها الحقيقية في المراحل الأولى،

حتى تتجنب المواجهات الجدية مع معارضيها إلى أن يشتد عودها. وتعتبر أكثر الحركات جرأة حتى الآن في التصريح عن نواياها تلك المسماة بالميليشيات البيضاء في الولايات المتحدة الأمريكية. وذلك كونها تعلن وبصراحة موقفها من كل ما يدور حولها، كما تحدد مطالبها وترفع شعاراتها عالياً دون نفاق سياسي أو فكري مع أعدائها أو المعارضين لها، في حين توارب هذه الحركات في أوروبا في طرح الأسباب الحقيقية لسياساتها وتعاملها مع الأحداث. ويبدأ الأمر في طريقة وصولها إلى مراكز شديدة الحساسية في السلطة والذي كان عن طريق (تسللها) إلى المجالس النيابية والتشريعية وغيرها من الهيئات السياسية في السلطة، والتواجد في مواقع فاعلة كالجمعيات والمؤسسات الاقتصادية الممولة للحملات الانتخابية وغير ذلك، و يعرف المتابعون ماذا يعني الوصول للبرلمان في الغرب، وكيف يصبح أعضاؤه بمثابة حكومة ظل فاعلة، وتشكل دوائر ضغط شديدة التأثير على مفاصل السياسة في البلاد من كونها تشكل قوى مالية متنفذة. وتنتقل هذه المواربة إلى ما يسمى بالنفاق السياسي، ففي الوقت الذي ترفع فيه هذه الحركات شعار العودة إلى الهوية الوطنية (لدولتها) واستعادة خصوصيتها وثقافتها، مما يستدعي رفض الأجانب الذين يشكلون خطراً على هذه الهوية وهذه الثقافة - كما يقولون - انطلاقاً من مطالبة هؤلاء بحقوقهم في بلاد ديمقراطية، يطل كل سياسي أوروبي عبر وسائل الإعلام المختلفة ليعلن موقفه بدبلوماسية ودهاء سياسي لم يعد يخفى

على المراقبين. فرغم تأكيد الفرنسي جان ماري لوبان عبر لقاء معه على قناة "الجزيرة" القطرية [12] أنه ضد الهجرة، بل يعتبر السماح بها عملاً إجرامياً بحجة أنها تخلف وراءها مليون فرنسي عاطلاً عن العمل، فإنه يدافع عن نفسه باعتبار أن هذا الموقف يفسر مفهومه للوطنية "مفهومي للوطنية يقتضي أفضلية وطنية للفرنسيين في وطنهم، تماماً كما أتفهم أن يكون أفضلية للجزائريين في الجزائر، و.." ويتابع: "أنا لست عنصرياً، وإن مفهومنا للأمة هو مفهوم الإرث الدموي، يضم إليه كل من يريد أن يصبح فرنسياً بدافع الحب لفرنسا، وليس فقط بدافع المصالح الخاصة" وحين سئل فيما إذا كانت مواقفه هذه هي سبب عداء اليهود له أكد أنه لا يستطيع قول الحقيقة حتى لا يتعرض للملاحقة القانونية، لأن "الديمقراطية الفرنسية لا تمارس إلا في الظاهر، وأنها قناع لحكم أقلية تفرض دكتاتورية امتلاك الحقيقة المطلقة، وتفرض الفكر الواحد، والقانون يحمي الدفاع عن الفكر الواحد.." لكنه يرى أن من الأسباب الأخرى للعداء اليهودي له نابع من تأييده لقيام دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيلية. وفي دفاعه عن مسألة العرقية وتفوق العرق الأبيض، أجاب" أن الناس لا تتشابه وليس لديها نفس الإمكانات.." إلا أن تقارير أخرى تنفي ما يدعيه لوبان من عدم عدائه للعرب وللمسلمين، فقد صدرت في فرنسا تقارير أثارت دهشة الرأي العام والمراقبين عن تحالف دعي "بغير المقدس" بين اليمين الفرنسي واليمين

12تم اللقاء يوم 1999/11/10 وأجرى اللقاء سامي كليب في برنامج زيارة خاصة

اليهودي في فرنسا، وقد بدأ هذا التحالف ،بحسب التقارير، على الإنترنت عبر مواقع متعددة تدار من أمريكا لا يجمع بينها سوى العداء للعرب والمسلمين وتطالب بمحاربة "فرنسا الإسلامية" (علماً أن الإسلام هو الديانة الثانية من حيث عدد المعتنقين له في فرنسا) وقد حدد مصدر هذه المواقع باسم "التحالف النازي اليهودي" الذي يقول أن اليهود والبيض في فرنسا مهددون من الغزو الإسلامي لفرنسا بدعم من الرئيس الفرنسي جاك شيراك . وتخص هذه المواقع المسلمين المغاربة باتهاماتها لهم بشن اعتداءات على يهود السفارديم القادمين من شمال إفريقيا. ورغم أن أصابع الاتهام اتجهت إلى إحدى الفرق المنشقة عن جماعة لوبان وتم توجيه التهمة لها بالتحريض على العنف والعنصرية، إلا أن الحكومة لم تتخذ الإجراءات المناسبة مقارنة مع ما يتم اتخاذه من إجراءات مع جماعات أخرى مسلمة. وقد أكد وزير الداخلية الفرنسي نيكولاس ساركوزي للجالية اليهودية رفضه لأي اعتداءات عليها، وكان قد حصل على جائزة التسامح من معهد سيمون ويزنتال اليهودي تقديراً لجهوده في مكافحة "العداء للسامية" .

وحين تتلاقى مصالح الخصوم لابد من التوقف وإعادة النظر في كل ما له علاقة بهذه المصالح وتأثير هذه العلاقة سلباً أو إيجاباً على المحيط وما وراء المحيط ومراقبة مؤشر هذه السياسة صعوداً ونزولاً . وعلى هذا لم يكن ميتران أول من اعتبرهم "غرباء على أرض فرنسا مهما حاولوا الاندماج في المجتمع الفرنسي" ولو أدى

ذلك إلى اعتناقهم المسيحية كسياسة تكتيكية اعتادوا أن يلجأوا إليها لتحقيق أغراضهم، إلا أن مواقف قادة اليمين الفرنسي مع اليهود تعود بنا إلى الوراء عقوداً طويلة، وإلى حيث اعتبرهم هتلر يشكلون خطراً كبيراً على المجتمع الألماني وهوية الأمة الألمانية، فقال فيهم هتلر في كتابه الشهير "كفاحي":

"هبطت طلائع اليهود الأرض الجرمانية في أعقاب الجحافل الرومانية الغازية، وانتشروا في البلاد بصفة كونهم تجاراً. وخلال الانقلابات التي سببتها حركة الهجرة الواسعة اختفى اليهود في الظاهر، ليظهروا مجدداً حالما بدأت تتكون الدول الجرمانية. وفي هذه المرة أيضاً ظهروا كتجار، ولم يهتموا بكتم طابعهم المميز لأن سماتهم وجهلهم اللغة كانت تفضح تنافرهم مع مضيفيهم، بيد أن كونهم غرباء ويهود لم يجر عليهم شيئاً من المتاعب، فالرمان مضيافون ويعطفون على الغريب أيا كان.

ولم يمض وقت طويل حتى تسلل اليهود إلى الحياة الاقتصادية، ليس كمنتجين بل كوسطاء. وقد أهلتهم براعتهم التجارية والمران الطويل لأن يبرزوا الآريين في الميدان التجاري حتى أوشكت التجارة أن تكون وقفاً عليهم.

وبدأ اليهودي يقرض الناس مالاً بفائدة فاحشة. ولم يكن الآريون قدا عتادوا هذا النوع من القروض فما تنبهوا إلى خطره إلا بعد فوات الأوان.

وبعد أن احتكر اليهود التجارة والأعمال المالية، شغلوا في المدن أحياء خاصة بهم، مؤلفين دولة ضمن الدولة. ولكن الربى

الفاحش الذي كانوا يتقاضونه أفقدهم عطف السكان، وازداد النفور منهم لصفاقتهم وحسدهم المحرومون على ثرائهم. واشتدت النقمة عليهم عندما راحوا يسترهنون الأرض الواسعة ويتحكمون برقاب مالكيها وفلاحيها تحكماً جعل ضحاياهم تتألب ضدهم في نهاية الأمر وقد اكتشفت في هؤلاء الغرباء طفيليات مزعجة وخطرة.

وحيال هذه النقمة التي عبر عنها في بعض المناطق باستخدام العنف في تأديب المرابين اليهود، لجأ "الضيوف" إلى الحكام واستطاعوا بسحر المال وشتى المغريات استدراجهم إلى تزويد كل يهودي بكتاب يؤمن له حماية شخصه وثروته وهكذا أطلق الحكام يد العلق في امتصاص دم الضحية، ولكنهم عادوا، تحت ضغط الرأي العام، فاخضعوا انتقال الأراضي لقيود ثقيلة وحظروا على المرابين استرهانها، وأذعن اليهود أو هم تظاهروا بالإذعان يقيناً منهم أن الحكام سيستنجدون بهم يوم يعوزهم المال، وقد كان، وتسلم المرابون، مقابل مالهم، وثائق تطلق أيديهم في استثمار رساميلهم وتمنحهم الامتيازات التي يتمتع بها أرباب الإقطاع. أما مالهم الذي دفعوه فقد تنازلوا عنه غير آسفين لعلمهم أنهم قادرون على استرداده من جيوب الرعية أضعافاً مضاعفة من طريق الفائدة المركبة.

وكان تواطؤ الأمراء الألمان مع الطفيليات اليهودية سبباً في إفقار الشعب. وقد ترتب على هذه السياسة العرجاء التي لا

تضاهيها إلا سياسة بعض الوزراء في أيامنا، عجز الأمة الألمانية عن التحرر نهائياً من الخطر اليهودي.

ووقوع الأمراء في الشراك اليهودية كان نذيراً بخرابهم. فقد ابتعدت عنهم شعوبهم بعد أن لمست تقاعسهم الفاضح عن حياة مصالحها وتكالبهم على استحلابها، وكان اليهود يغذون النقمة على الأمراء حالما يتبين لهم أن نجم هؤلاء آخذ بالأفول. "والشعب المختار" ذو اختصاص في الانحراف بالحاكم عن رسالته الحقيقية، فهو يتودد إلى الحكام بعبارات المديح والثناء ثم يستميلهم بالهدايا، حتى إذا اطمأن إلى نياتهم إزاءه، هيأ لهم أسباب الاستمتاع وزين لهم التهتك والاستهتار، لينصرف هو إلى استنزاف ما في جيوب الرعية.

واليهودي يجمع إلى حب المال الطموح إلى المعالي. فبعد أن جر الأمراء إلى حمأة الرذيلة حملهم في ساعة من ساعات المجون والعبث على رفع نفر من أبناء جلدته إلى مصف العظماء والنبلاء. وسرعان ما اتبع هذه الخطوة بخطى أهلت اليهود لأن يكونوا وزراء ومستشارين مسموعي الكلمة، وكان يكفي لإسكات المحتجين أن يتقبل اليهود سر العماد، دون أن يتخلى عن إسرائيليته وخصائصها.

وفي عهد فريدريك الكبير قامت حركة فكرية ضد زواج اليهود من ألمانيات وزواج الألمان من يهوديات، وتزعم هذه الحركة "غوته" الذي لم يكن رجعياً ولا قصير النظر، وأيد الشعب الحركة لأنه أدرك منذ زمن بعيد أن اليهود عنصر

غريب تغلغل في كيان الأمة دون أن يتخلى عن طابعه المميز وتقاليده.

ولم يفت اليهود خطورة الحركة فقرروا الاندماج نهائياً في الأمة الألمانية دون أن يتخلوا عن خصائصهم، ولم يكن لهم من الألمانية سوى اللسان الذي أتقنوه مع الزمن. ومتى كانت اللغة قوام العرقية؟ هذه الحقيقة لم تفت "الشعب المختار". من هنا عدم اهتمامه بالحفاظ على لغته ومن هنا حرصه الشديد على بقاء دمه نقياً لأن الدم هو قوام العرقية. ليس أسهل من تعلم لغة شعب من الشعوب ولكن المرء يعبر باللغة الجديدة عن أفكاره القديمة. واليهودي يمكنه اتقان مائة لغة ولكنه يظل يهودياً بتفكيره.

لقد قرر اليهود أن تكون الصبغة الألمانية طابعهم الغالب لأنهم بدأوا يلمسون كراهية الشعب لهم، وشعروا في الوقت نفسه بتداعي نفوذ حماتهم الأمراء، وبالحاجة إلى مرتكز جديد يستندون إليه في توسيع نطاق نشاطهم الاقتصادي دون أن يترتب على ذلك تفاقم النقمة الشعبية. وبعد أن تم لليهود الإشراف الفعلي على الدولة اقتصادياً وسياسياً وفكرياً تخلوا عن تحفظهم التقليدي وكشفوا عما يسميه أئمتهم "مرامي اليهودية العالمية" أو الصهيونية وكفوا عن الإدعاء أنهم جماعة دينية ليصارحوا الناس في كل مكان بأنهم يؤلفون عرقاً له طابعه وخصائصه، وأن مطمحهم القومي هو إنشاء وطن في فلسطين لا تكون له معالم الدولة بمفهومها الحديث بل يكون الأرض التي يتطلع إليها اليهود المنتشرون تحت كل كوكب على أنها الملجأ الأخير الذي إليه يفزعون.

وقد دلت الصفاقة التي بدأوا يظهرونها في معاملة الشعوب التي أضافتهم وفي مخاطبة الحكام ومقارعة الخصوم - دلت على أنهم باتوا موقنين بأن كل شيء أضحى في متناول أيديهم، وأن انتصارهم وشيك، ولكنهم لم يدعوا شيئاً للصدف، فتابعوا مساعيهم الرامية إلى خفض مستوى الأجناس بتسميم دم الأفراد، "جاء اليهودي بالزنوج إلى رينانيا ليستخدمهم في إفساد دم شعبنا والقضاء على مواهبه المبدعة" وبعد أن حققوا أغراضهم على ظهر الديمقراطية تخلوا عنها ليدعوا الدكتاتورية والبروليتاريا. ووجدوا في السواد الماركسي المنظم الأداة التي تمكنهم من إخضاع الشعوب لحكم الحديد والنار. وفي الوقت نفسه واصلوا خطتهم التقليدية: نسف الاقتصاد القومي وتجريد الدولة من معالم البقاء بتشويه سمعتها وتحريض المواطنين على الثورة، ومسخ التاريخ والانتقاص من قيمة المقدسات، ومسخ مقومات الحضارة كالفن والأدب ومفاهيم الجمال والنبل والخير. وعلى الجملة عملوا على أضعاف معنويات الشعب بحيث يتقاعس عن النضال في سبيل البقاء.

وقد أحرز اليهود انتصارهم العلني الأول في روسيا حيث تسببوا في هلاك ثلاثين مليوناً من البشر ليتسنى لهم إخضاع شعب كبير لسيطرة لصوص الأدب والبورصة) " ....[13]

وإن لم يكن هذ الموقف من هتلر هو سبب الدعاية التي يتاجر بها اليهود مذاك باسم "الهولوكوست".

---

(13)ص 33. 34من كتاب "كفاحي" أدولف هتلر، دار بيروت، 1952.

أما يورغ هايدر الألماني حتى العظم، حاكم ولاية كورنتيا في النمسا التي شهدت النازية فيها أولى انتصاراتها، والذي يتهمه اليهود بأنه الذي أيقظ النازية النائمة منذ رحيل هتلر، وبلغ الأمر من إحساسهم الشديد بالخطر لما حققه من شعبية ونجاح أن هددوا وبصورة مباشرة باتخاذ مقاطعة شاملة للحكومة التي عرفت ماذا يعني التهديد الصهيوني اليهودي من خلال الموقف العملي الذي ترجم هذه المخاوف اليهودية بفرض العقوبات من قبل البرلمان الأوروبي. ويظهر هايدر على شاشة قناة "الجزيرة" أيضاً ليعلن أنه إنما يرفض وجود المهاجرين غير الشرعيين لبلده الصغير الذي لم يعد يحتمل مثل هذا الضغط، و" لا نفرق بين قومية وأخرى في هذا المجال واليهود ضمن هؤلاء المهاجرين المرفوضين إذا لم يكونوا مواطنين نمساويين". [14] وحين سئل عن أسباب ظهور حزب الحرية في الوقت الذي يعتبر فيه حركة نازية ذات أفكار متطرفة مرفوضة سياسياً و "يهودياً" أجاب: " هذه لا يخصنا لأن حزب الحرية ليس يمينياً ولا يسارياً، إنه في مقدمة الأحزاب الأخرى، فنحن نأتي بأفكار جديدة وقرارات سياسية جديدة ضمن العملية الديمقراطية. لقد صوت لنا النمساويون بنسبة 30٪ وازداد حجم التأييد لنا على مدى العشرين سنة الماضية، والكل يعرف أننا حركة ديمقراطية تماماً، لذلك لا نقبل بردود فعل الاتحاد الأوروبي، والذين يتهربون من الإصلاحات الديمقراطية" وأضاف: " أعتقد أن جيل الشباب معجب بأفكارنا وأفكارهم، وهذا يعود إلى رغبتهم

14تمت المقابلة في برنامج "لقاء اليوم" تقديم سامي حداد بتاريخ 2000/6/16

في الإصلاح، نحن لسنا متطرفين أو عنصريين، وقلنا أن هناك حزبين يهيمنان على الحكم منذ ثلاثين عاماً دون إحداث تغيير، فقد استمرت الحكومة الاشتراكية اليسارية في النمسا ثلاثين عاماً، وهذا غير عادي أن تستمر الحكومة ثلاثين سنة، فالديمقراطية بحاجة للتغيير، ونحن نريد أسواقنا بشكل جيد علماً أن اقتصادنا كان محكوماً من الحزبين ومن الدولة، ونحن ندعو للاقتصاد العالمي الحر والاستفادة في الأسواق العالمية...، السياسي مسؤول تجاه شعبه وعليه أن يعمل لصالحهم، ونحن نريد الحفاظ على ثقافتنا ولغتنا وهويتنا الاقتصادية... وقبولنا الانضمام لأوروبا لا يعني قبولنا بكل القرارات الأوروبية".

ويشكل حزب الحرية الآن ثاني أكبر قوى سياسية في النمسا بعد حزب المحافظين، الذي حصد بالائتلاف معه خمس حقائب أثارت رعب الأوساط اليهودية والصهيونية. وتقول المؤشرات أن هذا الحزب سيكون له مكانة الصدارة في الانتخابات القادمة وخاصة إذا ما استطاع أن يبرهن بطريقة ما عن إمكانية حل الأزمات التي تعم البلاد.

وفي هولندا يكشف اليمين المتطرف عن نفسه كلما عصفت بالبلاد عاصفة ما، وكانت تصريحات بيم فورتوين ضد المسلمين والإسلام الذي اعتبره ثقافة رجعية من أسباب طرد حزب "هولندا الجديدة" له، إلا أنه وعبر شخصيته متعددة الوجوه أن يؤثر في العديد من شرائح المجتمع الهولندي، ساعده على ذلك ثقافته الواسعة، ومكانته كبروفسور جامعي وكاتب افتتاحية لصحيفة

معروفة، وقد عزف على وتر الأوساط المهمشة في البلاد من جميع الفئات. الأمر الذي يؤكد أن رحيله لن يعيق تقدم التيار اليميني في هولندا الذي تشبع بأفكاره التي تخدم مشاعر الشارع الهولندي الذي يبحث عن حل لأزماته.

أما في إيطاليا فقد أعلنت إحدى أشهر صحفها (لاريبابليكا) انتهاء مفعول التيار اليساري في روما ولشبونة وكذلك في باريس ولاهاي وكوبنهاغن، مشيرة إلى أن "أوروبا تتابع سباقها إلى اليمين" ولم تنطلق هذه الفكرة من فراغ، فقد استطاع تيار الفاشيين الجدد ومن حوالي قرن استقطاب أعداد هائلة من الشوعيين السابقين الذي يشكلون طبقة العمال وصغار التجار، ويدعو هذا التيار إلى التغيير الجذري وبناء إيطاليا قوية، وبسبب عجز الحكومة القائمة على تلبية حاجات الشارع الإيطالي رأى سيليفيو برلسكوني أن يعطي الفرصة لرابطة الشمال " الفاشيين الجدد" للوصول إلى الحكومة عام 1996، وكرر ذلك في حكومته التالية حين فسح المجال لمشاركة أمبيرتو فوشي ممثل الفاشيين الجدد في الحكومة.

ولإسبانيا أسباب أخرى إضافية في توجه سياستها نحو اليمين تختلف عما هي عليه في بقية الدول الأوروبية، إذ أن مناهضة الهجرة التي يرفع شعارها التيار اليميني في البلاد لا يرتبط فقط بالأوضاع الداخلية للبلاد وانتشار البطالة والأزمات الاقتصادية كما يدعي رجالات هذا اليمين، تتعلق بالسياسة الخارجية للحكومة الإسبانية التي حاولت ترقيع ثوبها الداخلي المهترئ

بثوب خارجي له من الشفافية ما يفضح ما تخفيه من نوايا عدائية موغلة في القدم تجاه المسلمين والإسلام.

وعودة سريعة إلى تاريخ العلاقة الإسبانية مع اليهود تشير إلى العداء التاريخي بين الطرفين، وبما لا يقل عداوة عن عداوة الإسبان للإسلام منذ سقوط غرناطة عام 1492، حين فرض الإسبان على المسلمين أحد أصعب خيارين: إما اعتناق المسيحية أو مغادرة موطنهم وموطن آبائهم، والحقيقة أن الموقف من اليهود كان مماثلاً إلا أن هؤلاء استطاعوا بالنفاق والمال التسلل إلى الكنيسة الكاثوليكية وإغراء ملكتها بالمال لمحاربة المسلمين، ولهذا اعتبرهم الجنرال فرانكو أخطر ما يمكن أن يصيب الأمة من أمراض سياسية. إلا أن هذا الرأي قد زال بموت صاحبه لتبدأ حقبة جديدة من العلاقات الإسبانية - اليهودية والتي قامت على المصلحة المشتركة للطرفين وخاصة بعدما أدرك الإسبان -وغيرهم من دول الاتحاد الأوروبي الذي جعل من شروط الانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة الاعتراف بإسرائيل رسمياً- المكانة التي يحتلها اللوبي الصهيوني في أمريكا ودوره في صياغة القرار الأمريكي بما يخص السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وهو ما أدركه سريعاً التيار اليميني في إسبانيا وعمل على الاستفادة منه رغم المعارضة الشعبية العارمة للسياسة الإسرائيلية في فلسطين المحتلة، وقد حال اليمين في إسباني إثر توليه السلطة أن يحتوي هذا الغضب بالاهتمام بالإصلاحات الداخلية والتركيز على حل الأزمات الاقتصادية وغيرها وكانت ذريعته في هذه الأزمات

الهجرة المغاربية غير الشرعية إلى بلاده، مع أن المواقف المناوئة للمسلمين كانت واضحة تماماً بحيث شملت وبصراحة علنية المسلمين الذين يحملون الجنسية الإسبانية، وغيرهم ممن دخلوا البلاد بطريقة شرعية ونظامية.

إلا أن تأزم الأوضاع الاقتصادية في إسبانيا عام 2000 وفشل خوسيه أزنار في حلها، جعله يؤثر التهرب منها عن طريق تحسين السياسة الخارجية، فلم يجد أمامه سوى الدعم المفتوح للولايات المتحدة في حربها على "الإرهاب" مظهراً تعاوناً كاملاً في هذا الشأن طال مواطنين عرب ومسلمين من المقيمين الشرعيين على الأراضي الإسبانية، غير عابئ بالرأي العام في الشارع الإسباني الذي يرفض هذه السياسة، ويحذر حكومته من التورط في العداء مع دول أخرى لا علاقة لها بالإرهاب.

ويبدو أن اليمين الإسباني الذي فشل أزنار في فرض حكومته عليه كما فعل سلفه، لم يحسب حساباته جيداً هنا أيضاً، فبالإضافة إلى تداعيات هذه السياسة الخارجية على بلاده، فإنه يتجاهل مآلات شق الصف الأوروبي وما تحصده أمريكا من ذلك. بل إن الحكومة الإيطالية الجديدة في نزاع مع الاتحاد الأوروبي بسبب خشيتها أن تذهب موارد الدول المتوقع دخولها إلى الاتحاد على حسابها، لأنها ترى في توسع رقعة الاتحاد نحو الشرق هدراً للموارد وفرصة لفتح أبواب جديدة للهجرة، وهو ما يعني أيضاً أنها غير حريصة حتى على دعم حقوق الإنسان، أو حتى المساهمة في حفظ السلام.

ورغم أن تاريخ بريطانيا لم يشهد هذه النزعة القوية للتطرف بين أحزابه، إلا أن الأحاديث تدور هناك أيضاً عن الخصوصية والهوية التي ينادي بها مناؤوا العولمة وتداعياتها ، وبعدها الموقف المناهض للسياسة الأمريكية وانفرادها بالقرار السياسي في العالم، أما مشاعر الخوف من الأجانب فقد تولدت بعد أحداث الحادي عشر من أيلول بتهويل من الإعلام الأمريكي الصهيوني، وعليه كانت الحملات على الأجانب ومراقبة الهجرة غير الشرعية للبلاد .

ولاتختلف الأسباب كثيراً في ألمانيا ، إحدى أهم الدول الأوروبية الآخذة بالتوجه نحو اليمين الذي بدأ يغزوها بقوة، والتي كانت أكثر تساهلاً مع المهاجرين والعرب المسلمين بشكل خاص قبل أحداث أيلول 2001فقد توصل التيار اليميني المتشدد فيها إلى قناعة قوية مفادها أن الهجرة غير الشرعية إلى الدول الأوروبية (الغربية) أدت فيما أدت إلى تمركز الكثير من الحركات التي دعتها بالإرهابية فوق أراضيها لتمارس انتقامها من أمريكا وإسرائيل انطلاقاً من هناك لضرب مصالح هاتين القوتين في أوروبا ، كون هذه الحركة لا تجد الأرضية المناسبة لأهدافها فوق أراضيها الأصلية نظراً لانعدام الديمقراطية والخوف على أمن ومصالح البلاد ، الأمر الذي دفعها للتفتيش عن مجال مكاني أكثر سهولة ويسراً في التحرك للاقتراب من الهدف، فكانت الهجرة المكانية هي الوسيلة، وكانت دول أوروبا هي المطية. هذا ما تذرع ويتذرع به الإعلام الغربي المسيّس، والذي يخفي بين

سطوره ما تحاول هذه التيارات الجديدة إظهاره من عنصرية وتذمر من فضائح الفساد والرشوة في محاولة لمعاقبة الأحزاب الحاكمة على تساهلها وتقصيرها في حل أزمات الشعب الألماني، وهو ما لعب هذا التيار المتشدد بورقته مع الشعب الذي كان ينتظر البديل الأفضل للحكومات العاجزة. وقد صرح وزير الداخلية الألماني بمخاوفه من الهجمة القوية لهذا التيار بقوله: "إن التهديد الذي يشكله النازيون الجدد للبلاد قد تصاعد إلى مستوى جديد" مشيراً إلى كشف الجهات المعنية في البلاد عن "مخطط لتفجير مركز يهودي في ميونخ" وأنه تم اعتقال العديد من المشتبه بهم في هذا المخطط. وأشار إلى أن توقيت الهجوم يتزامن مع الذكرى السنوية للهجمات التي شنها النازيون في الثلاثينيات على آلاف الأهداف اليهودية المتعددة وأودت بحياة العشرات، وسميت بليلة الكريستال، وهذا ما يشير إلى رفض النازيون الجدد إلى الوجود والنفوذ اليهودي في بلادهم والذي لم تخبو جذوته مع رحيل هتلر كما يظن اليهود. كما ويذكر التقرير أن هجمات أخرى سوف تشن على مساجد ومدرسة يونانية، وأخرى إيطالية، قد يقوم بها النازيون أو غيرهم ممن له المصلحة الكبرى في الإساءة إليهم من ناحية وتوريط غيرهم من ناحية ثانية، وعليه فإن المسلمين المتواجدين في ألمانيا (وفي أوروبا بشكل عام) ليسوا هم من يشكل الخطر على الشعب الأوروبي والمصالح الأوروبية.

وفي الصين أعلنت إحدى الحركات مسؤوليتها عن هجمات قامت بها على مواقع معلوماتية يابانية، وقد دعت هذه الحركة،

التي قالت أنها تحالف اليمين الصيني المتطرف والمعادي لليابان، دعت المواطنين إلى الانضمام إليها للقضاء على "كلاب اليابان المسعورة" وتبرر هذه الحركة هجماتها ،حسب التقرير، أن السلطات اليابانية قد رفضت طلب الحكومة الصينية منع تنظيم مؤتمر ينفي في بياناته مجزرة (نانكين) التي ارتكبها الجيش الياباني عام 1937في شرق الصين،

وتقول طوكيو أن (قراصنة المعلوماتية قد أبدلوا المعطيات الرسمية بشتائم للشعب الياباني مكتوبة بالصينية والإنكليزية) في أعلن هؤلاء (القراصنة) تأكيدهم إعداد برنامج باسم "القنبلة الذرية" مماثلة لتلك التي استعملت قبل ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية ضد مجموعة ياهو وشبكة سي إن إن. CNNالأمر الذي ينفي ما يدعيه التيار اليميني المتطرف من أن "الهجرة" أهم أسباب أزمات المجتمعات الجديدة في الغرب، وبالتالي أهم أسباب عودة هذه التيارات.

ومن خلال مراجعة سريعة لأسباب انبعاث هذا التيار المتطرف المتمثلة بحس العنصرية المتنامي لدى أفراده وعناصره التي قد تكون مسيسة أو مؤدلجة، كما تتمثل تلك الأسباب بالأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تمر بها البلدان التي تحيا هذه الظاهرة، وكذلك مسألة "العولمة" التي فرضتها أمريكا على العالم ورفضتها الكثير من الشعوب الأوروبية مثل غيرها، من حيث كونها (العولمة) تهدد الهوية والثقافة والخصوصية الوطنية لكل بلد في العالم، خاصة بعد كشف المؤامرة الصهيونية

في هذه اللعبة الساعية إلى تنميط العالم على نموذج واحد سيصل بالنهاية - حسب نبوءتها وتخطيطها - إلى سيطرتهم على العالم عبر النموذج الأمريكي التي تسيطر عليه بقوة. وقد استطاعت عبر إعلامها وبؤرها التجسسية وجيوبها المنتشرة في كل أنحاء العالم أن توهم الأوروبيين أن عشرين مليون مسلم متواجدون في أوروبا هم من يهددون الهوية الأوروبية والثقافة الأوروبية . وقد جاءت أحداث الحادي عشر من أيلول لتذيل إدعاءاتهم بالتوقيع عليها لمن لم يقرأ هذه الأحداث جيداً.

وهنا لابد من الاستشهاد بكتاب إيريك سافاريس الذي يحمل عنوان "التاريخ الاستعماري والهجرة: اختراع الأجنبي"

ويمكننا من خلال مراجعة سريعة لما ورد حول أسباب انبعاث هذا الحركات المتطرفة أن نستشف ما وراء هذا الظهور، ولكن ما نريد التوقف عنده الآن هو مسألة الهجرة التي يتذرع بها هؤلاء ليخفوا عداءهم للإسلام والمسلمين، حيث أن التركيز على محاربة الهجرة انصب فقط على المسلمين دون غيرهم، وأن المسيحيين وأحياناً اليهود لا يواجهون الصعوبات والمعوقات التي يواجهها المسلم لدى عزمه على ترك بلاده لأسباب هي قاهرة دائماً، والتي من أهم عواملها الذراع الطولى للسياسة الأمريكية في السياسة الداخلية لهذه البلدان.

والأمثلة على الموقف الغربي من الإسلام كثيرة ليس أبرزها ما يلاقيه المسلمون الذين يحملون جنسيات دول أوروبية شرعية من المضايقات والإجراءات غير المبررة على حرياتهم وسلوكياتهم

ومحاولة فرض الكثير من الطقوس التي تتنافى مع دينهم وعاداتهم كمحاربة موضوع الحجاب وتداعيات هذه المسألة في فرنسا وتركيا وغيرهما. وليس آخرها تصريحات الكاردينال جياكومو بيفي رئيس أساقفة بولونيا ـ شمال إيطاليا ـ الذي دعا إلى (إعطاء الأفضلية للمهاجرين المسيحيين على المسلمين) ورفض الأغلبية شمال ميلانو لإقامة مسجد بدعوى أنه يعزز مكانة الإسلام في إيطاليا. ولذلك لابد من بعض التوضيح حول مسألة الهجرة لنتبين أسباب الموقف العدائي من المهاجرين المسلمين تحديداً. يقول إيريك سافاريس مؤلف كتاب "التاريخ الاستعماري والهجرة: اختراع الأجنبي" أن مشاعر الخوف من الأجانب أو ما يسمى بـ "فوبيا الإسلام" المنتشرة في الغرب حالياً، تتبدى أكثر من أي وقت في أوقات الكساد الاقتصادي، (وهو يتخذ من تعامل فرنسا مع المهاجر المغاربي مثالاً على ما يطرح) يقول:

" إن الماضي الاستعماري الذي يمكن أن يطويه النسيان يظل متمركزاً في اللاوعي الجمعي الفرنسي، وهو يتكاثف في المخيلة العامة خاصة في اللحظات التي يمر خلالها المجتمع بضغوطات اقتصادية واجتماعية". ثم يقارن سافاريس بين ردة الفعل على وجود الأجانب في النصف الأول من القرن العشرين، التي تمثلت بالصمت بل بالترحيب بشريحة المهاجرين حيث كانت البلاد إثر الاستقلال بحاجة إلى يد عاملة. ليلاحقوا بعدها باعتبارهم كبش الفداء كلما أصابت ميزانية البلاد كارثةً ما، ويؤكد الكاتب أن

نظرة العداء قد تنامت بصعود تيارات اليمين الذي يعد جان ماري لوبان أبرز شخصياتها. وبذلك يعزو إيريك سافاريس أسباب النظرة العدائية للأجنبي إلى ما يسميه "اختراع الأجنبي" وليس إلى ما يقوم به هذا الأجنبي الذي يسكن الذاكرة الفرنسية التي ترفض وجوده فوق أراضيها بعد أن طردها من أرضه في الماضي، ولذلك يصرون على رفضه وعدم احتمال تحركه فوق أرضها رغم أنه الأقرب إليها من أي مهاجر آخر في العالم بحكم استعمارها له، وتحدثه بلغتها وعملية الفرنسة التي مارستها عليه طوال سنين الاستعمار. وهذا كاف لتغيير الموقف من هذا المهاجر تحديداً والتوقف عن التعامل معه على أساس أنه "قوة عمالة منفصلة" و"مهاجر أجنبي" وترسيخ هذه الفكرة العدائية في الوعي العام للمجتمع الفرنسي، عبر الإعلام، بعد أن كان من مكونات هذا المجتمع، ويرى سافاريس أن الحل الأكثر صواباً لهذه المعضلة هو "مواجهتها وعدم لملمة أوراقها الرمادية المبعثرة، إضافة إلى إجراء حوارات مفتوحة حول الأجنبي والمشكلات المنسوبة إليه ، وهذا لا يمكن أن يتم مع التأثير البالغ للتيار اليميني المتطرف الذي يتبنى هذه الذريعة، إلا إذا عادت فرنسا إلى سابق عهدها حين كانت دولة الثقافات المتعددة وعادت إلى سياستها السابقة بالانفتاح على (الآخر) أو الأجنبي المقيم على أراضيها" .

من جهة أخرى، يذكر المراقبون كيف تم إسقاط الجزائرية ليندا عصماني، التي حصلت على 11،40٪ من أصوات الدائرة التابعة لها في فرنسا من قبل مرشحي اليمين المتطرف الكثر في

انتخابات عام 2002خاصة أنها رشحت لدائرة انتخابية يسيطر عليها اليمين، وقد قالت ليندا أنها تعرضت لحملة " عنصرية دنيئة" من قبل ا لمرشح اليميني ميشيل بولتيه وأن المرشح الآخر كمباديس تعامل معها "بخبث" واستخدم أصلها المغاربي في الدعاية ضدها.

وهذا ليس إلا غيضاً من فيض مظاهر العداء للمسلمين في فرنسا، الذي ترى صحيفة "لو فيغارو "Le Figaroالفرنسية الشهيرة أن حلّ هذا العداء في منح هؤلاء المهاجرين إليها الفرص المناسبة التي تشعرهم بمواطنيتهم في فرنسا كتوفير فرص عمل جيدة ومثالية لهم للعمل كمديرين وأساتذة جامعة، على أن يندمجوا في المجتمعات الفرنسية أكثر، بمعنى أن يزيلوا عن أنفسهم "الصدأ" كما سماه عالم الاجتماع عزوز بيغاع في حديثه عن العرب الناجحين في فرنسا، وتبنته الصحيفة كمصطلح للتعريف بالمسلمين الذين يحافظون على خصوصيتهم المسلمة وإقامة طقوسهم الدينية والاجتماعية مع أنهم - حسب الصحيفة - مقصرون في تمثيل إسلامهم والمساجد تكاد تكون خالية منهم لأنهم منغمسون في الحياة ومجتمع العلمانيين. ومع ذلك فإنها تطالب (الصحيفة) الحكومة بوقف سياسة "المدن" التي تتبعها في المناطق التي يقيم فيها المهاجرون، أي ألا تمنح هذه المناطق الخدمات اللازمة حتى يضطر سكان هذه المناطق للخروج من "تكلسهم" حتى لا "يصدأون" داخلها. لأن السكان الأصليين لا يقبلون بهذه السياسة، وتتابع الصحيفة أن الذين ينجحون في

اختراق هذا التكلس والخروج من قوقعتهم وتجمعاتهم الصغيرة، ينبغي معاملتهم على أنهم أذكياء، لا موهوبين فقط، كما هو حال السود في أمريكا والكوريين في اليابان أما من يفشل في اختراق حواجزه فإنه يحتفظ (بحقده) معتبراً نفسه ضحية للمجتمع الذي (يرفضه).

وتعترف الصحيفة بوجود نماذج إيجابية للعرب المسلمين على أراضيها، إلا أن الإعلام يركز على النماذج السلبية مما يفسر (والكلام للصحيفة) عدم وجود العرب في البرلمان سواء ضمن الجناح اليميني أو الجناح اليساري، وتنادي الصحيفة بضرورة توظيف النساء لتخفيف التفرقة العنصرية والجنسية على السواء، ويشير المقال إلى أن إعطاء المسلمين فرصة للوصول إلى البرلمان والانتخابات النيابية في المستقبل من شأنه أن يخفف درجة الحقد عندهم، وبالتالي تحقيق الأمن عبر الاندماج. مما يعني مجدداً أن العرب حاقدون على الغرب، وأنهم سبب انعدام الأمن فيه، وأنه بإمكانهم نيل حقوقهم فيما لو اندمجوا بالمجتمع الغربي وخرجوا عن "تكلسهم" وأزالوا "الصدأ" عنهم.. والكلام بعد هذا لا يحتاج لمزيد من التوضيح.

ورداً على من يقول أن الأمر ليس أكثر من جدل مؤقت بين القوى السياسية والأحزاب المستفيدة من هذه المشكلة وغيرها لجمع أصوات الناخبين، وفي كل مكان تطفو فيه هذه الظاهرة على الأحداث في أوروبا، نطرح السؤال الذي يفرض نفسه بقوة:

لماذا التركيز - في هذه الحملة - على الإسلام والمسلمين دون غيرهم؟

وزير خارجية إسبانيا أعلن رده على هذا السؤال صراحة بقوله (إن بلاده ملتزمة بـ"مكافحة الإرهاب" الذي يأتي مع الهجرة السرية)! ويتجاهل التعليق حول منع المهاجرين الشرعيين من ممارسة حقوقهم الشرعية أيضاً على الأراضي الإسبانية، ونذكر على سبيل المثال الموقف من بناء مسجد في إحدى القرى الإسبانية والذي تمثل حادثته الموقف السياسي في إسبانيا من حق المهاجرين المسلمين الشرعيين المقيمين على أراضيها في ممارسة عاداتهم وتقاليدهم، وأهمها إقامة مركز للعبادة وفوق قطعة من أرض تملكوها بشكل قانوني أيضاً، فقد حدث أن أرادت مجموعة من المهاجرين المسلمين إنشاء مسجد في بلدة "بريميار دي مار" قامت الدنيا عليها ولم تقعد، وصار المسجد حديث الناس والصحف التي شنت حملة واسعة خلال شهر كامل باسم المشكل الديني بين المسلمين هناك وسلطات مقاطعة "كتلانانية" التي تتبع لها بلدة بريميار دي مار" وكان عنوان الحملة "خطر التطرف الإسلامي" علماً أن مثل هذه الحملات لم يسبق أن حدثت هناك، وقد بدأت حين أرادت هذه المجموعة المسلمة من المهاجرين ممارسة طقوسها الدينية، إذ تم الادعاء أن مثل هذا التصرف يندرج تحت اسم "التحرك المضاد" للقوانين، رغم أنهم يحملون وثائق إقامة قانونية بل وأن منهم من يحمل الجنسية الإسبانية، وهو عكس ما يتذرع به الساسة الإسبان الذين يقفون وراء هذه الحملات متذرعين أن رفض إمام المسجد المذكور بالرجوع عن قرار إقامة المسجد - كونه يحمل ترخيصاً بذلك من جهة، ولديه سند تمليك للأرض

المراد بناء المسجد فوقها من جهة أخرى - قد انبنى على الأمر صادر عن "امرأة" التي هي رئيس البلدية في المنطقة، (وهي إشارة يقصد منها الإساءة إلى موقف الإسلام من المرأة حسب النظرة الغربية لهذا الموقف) مع أن الإذاعة الإسبانية قد صرحت عن حقيقة الموقف اليميني في برنامجها " 24ساعة" على لسان كاتبة شهيرة أن "ظاهرة تنامي المساجد قد أصبحت تشكل خطراً على البلاد، كونها تمثل ثقافة غريبة عصية على الاندماج، ولذلك تم تشبيهها بالاستيطان أو بالاستعمار الجديد الذي يقف وراءه التطرف الديني الإسلامي" على حد قول أحد الصحفيين.

وحادثة المسجد التي وردت ليس إلا واحدة من أعراض هذه السياسة، أكدتها فيما بعد حملة الاعتقالات المتتالية على العديد من المسلمين المتواجدين على أراضيها بشكل شرعي وقانوني، لمجرد الشبهة أو الشك، وترحيل الكثير منهم خارج البلاد دون إثبات أية تهمة من التهم الموجهة إليهم.

وفي هذا العرض السريع والمختصر لما يشنه الغرب من حملات مختلفة الأشكال والألوان على الإسلام والمسلمين لابد من ذكر أحد أهم بنود تقرير معهد واشنطن وهو تابع لإحدى لجان المختصة بالبحوث المتعلقة بالعلاقات الأمريكية الإسرائيلية (إيباك) والتقرير الصادر بتاريخ 12/12/ 2001هو واحد من مئات التقارير المماثلة والتي تحدد طبيعة العلاقة مع المنطقة وما يجب أن تكون عليه هذه العلاقة. وقبل عرض أهم البنود الخاصة بالإسلام وإن لم تكن واضحة لفظاً، نؤكد أن مجمل بنود هذا

التقرير جاءت لدرء المخاطر عن الدولة اليهودية فقط لا غير.

يقول التقرير في فصله "الثالث" وفي فقرة بعنوان:

" الإرهاب.. إعمل على تقوية الرد على التهديدات الجديدة" :

(إعزل جهود مكافحة الإرهاب عن ديناميكيات العملية السلمية، وعزز الرد على التحديات المستمرة، إذ ينبغي على الولايات المتحدة أن تتبع سياسة لا تسامح فيها: ففي الوقت الذي يحق للسلطة الفلسطينية أن تختلف مع إسرائيل حول القضايا الدبلوماسية، فإن العلاقة الأمريكية الفلسطينية يجب أن تدفع ثمن التهاون الذي تبديه السلطة الفلسطينية بشأن التزامها بمكافحة الإرهاب.

- وينبغي على الولايات المتحدة أن تعزز جهودها للإرتقاء بالتعاون الدولي ضد شبكات العنف الإسلامية المتطرفة، وينبغي أن تعمل مع دول أوروبا والشرق الأوسط لممارسة ضغط جماعي على تلك الدول القليلة التي ما زالت تقدم الملاذ للإرهابيين أو تغض النظر عنهم مثل «إيران وباكستان واليمن وأفغانستان».

وفي تقرير يتحدث عن الاستراتيجية الأمريكية، وتحت عنوان "العولمة" جاء:

غايات العولمة هي:

أولاً: مسخ الهوية العربية والإسلامية بشكل خاص والشرقية بشكل عام، باستهلاك الثقافة الأمريكية عن طريق

وسائل الإعلام المختلفة، ومن ثم جعل جميع دول العالم سوقاً مفتوحة للمنتجات الأمريكية بمختلف أنواعها، بإجبار الحكومات على رفع القيود التي وضعت لحماية ودعم الصناعات الوطنية".

ومن يطلع على تفاصيل هذا التقرير يدرك المخاطر التي تتربص بالمنطقة بشكل خاص وبالعالم الإسلامي بشكل عام نتيجة المخاوف التي يدعيها اليهود ـ الصهاينة من أن تعرضهم لأية هجمة أو اعتداء (إسلامي) من شأنه أن يهدد المصالح الأمريكية ـ الإسرائيلية التي تستوجب برأيهم التخلص من كل ما يهدد هذه المصالح، والمتمثل حسب (توراتهم) المزعومة بشعب يأجوج ومأجوج الذي يرون في روسيا أشباحه، وبلاد بابل وآشور اللذان يمثلهما العراق اليوم، ثم الخطر الأكبر المتمثل بالإسلام وعودة الخلافة الإسلامية على يد الدول التي يدرجونها في قائمة "الدول الداعمة للإرهاب".

وتدعم الأحزاب الدينية السير بهذا الاتجاه عبر الترويج الصريح للنبوءات الواردة في كتبهم (التلمودية) ويتجلى هذا الدعم بالتأييد (أو عدم التأييد) للمرشحين الإسرائيليين للكنيست حسب ما يرى هؤلاء الكهنة في أولئك المرشحين من تفان منقطع النظير في خدمة الشعب اليهودي وتحقيق مصالحه الواردة في (النبوءات) وتتجلى هذه الخدمة برأيهم بإراقة أكبر كمية من الدماء و صنع المجازر والقتل والفتنة.

إذاً، يجدر بجميع الأطراف المعنية بالتأثير المسيطر لليمين المتشدد على كل مكان يتواجدون فيه أن تعيد النظر فيما يطرحه

هؤلاء من أفكار، وخاصة منها ما يؤثر على بنية المجتمع الذي يسيطرون عليه وعلى قيمه والأسس التي تقوم عليها سياسته الداخلية والخارجية. وألا يترك الأمر لمناهضي الهجرة (باعتبارها إحدى أبرز وسائل الحرب على الإسلام والمسلمين) ليحددوا مواصفات المهاجر وشروط تواجده - إن قبلوا به - التي من أهمها التخلي عن حقوقه الثقافية وحق ممارسة طقوسه الدينية بشكل خاص، وإلا اعتبر بمفهومهم "تحركاً مضاداً" للقوانين المعمول بها، والأمر إزاء هذا الشرط لا يحتاج إلى تعليق أو لزيادة في الشرح والتفسير.

وحين نفهم كيف تتحول الفكرة إلى قوة مادية محركة، لتغدو حوافز سلوكية ندرك أن ظاهرة اليمين المتطرف لم تعد تشكل مجرد ظاهرة عابرة، أو موضة القرن الحادي والعشرين، بل أثبتت أنها قد انطلقت من جذور موغلة في القدم تاريخياً وسياسياً، وهي الآن محمية بأتباعها اللامحدودين من الشارع الأوروبي و.. العالمي أيضاً الذي يأمل أن تكون البديل المناسب لأنظمة ثبت إفلاسها وغربتها عنه.

إلا أن العالمين ببواطن الأمور يدركون أن وصول اليمين سيجلب الويل إلى هذه البلاد، ونذكر هنا قول وزير المالية الفرنسي السابق "لوران فابيوس" وإثر الانتخابات الأخيرة التي جرت في العام 2002أن سياسة اليمين التي تركز شعارات محددة وتلوح بها أثناء الانتخابات ليس إلا فزاعة، لأن الخطر الأكبر يكمن في التراجع الاجتماعي" وأكد " أن اليمين يتحدث أكثر مما يفعل

للشعب الفرنسي". أما وزير التعليم الأسبق "جاك لانج" فقد اكتفى بالقول: "لو فاز اليمين فإن الوقت سيكون متأخراً جداً على البكاء، لأن هذا الفوز سيؤدي إلى انفجار اجتماعي" في حين لم يُخف الأمين العام للحزب الاشتراكي مخاوفه من احتمال فوز اليمين، فقال: "لا نريد أن نعيش كابوساً".

إن انخفاض مؤشر تحركات "اليمين المتطرف" في بعض الظروف أو المناطق ليس دليلاً على نهاية دورهم في الحياة السياسية والاجتماعية ولا حتى الثقافية، وهو المؤشرات ليس إلا نزولاً مؤقتاً للمؤشر الذي يؤكد باستمرار أنهم ورغم كل شيء متواجدون في مختلف القطاعات الرسمية والشعبية، بدليل تمكنهم من الإمساك بدفة الدولة الفرنسية ومؤسساتها حتى أثناء فترة حكم الرئيس ميتران التي دامت 14سنة والتي كانت محسوبة على اليسار وعلى الحكم الاشتراكي الديمقراطي، بينما كانت في الحقيقة تغفى في حضن اليمين المتطرف. ولم يكن ذلك حال فرنسا وحدها، بل هو حال معظم الدول الأوروبية.

وعليه، فلم يعد بإمكان أمريكا ولا أوروبا أن تدفن رأسها في رمال "العولمة" وتتجاهل ما يحدث فوق أراضيها، دون أن تعير الأحداث الاهتمام اللازم، خاصة وأن كل المؤشرات نحو الاتجاه بالعالم إلى حيث هو عليه الآن تقول أن اليمين لم يعد قي طريقه إليها فقط، بل لعله قد وصل فعلاً.

هناك في الوجود و على مسرح الحياة ظواهر كبرى تؤثر في صناعة الأحداث و بلورة مسارات التاريخ ، لذلك فإن من الواجب دائما الاهتمام بقراءة و تحليل الظواهر انطلاقا من أهميتها و تأثيرها .

و لا شك أن انحسار دور اليسار مع سقوط الإتحاد السوفيتي ، و تنامي اليمين ، سواء الديني أو القومي ، مسألة تحتاج إلى دراسة.

و لئن كان بعض الغربيين يريدون إيهام العالم أن الانبعاث الديني إنما حصل فقط في الإطار الديني الإسلامي ، و ذلك ليتسنى لهم تأليب العالم كله و جره لمحاربة الإسلام ، فإن الواجب بيان أن مثل هذا الانبعاث موجود في كل مكان ، و حتى في قلب الولايات المتحدة الأمريكية ، بل و في إسرائيل أيضا .

هذا عصر العودة ، و العودة إلى الماضي دليل على إفلاس نظريات الحاضر ، الناس يتراجعون لأنهم اصطدموا بالجدار ، و تعبوا من الفراغ الذي يعيشونه في ظل المادية الطاغية .





هاتف: (00218 21) 3403611 - 3403612
www.greenbookstudies.com
Info@greenbookstudies.net